رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم
ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون
العدد (1713) السنة السابعة
الاثنين (1) شباط 2010

2
كيف تأسست دولة العراق ونالت استقلالها قبل غيرها؟

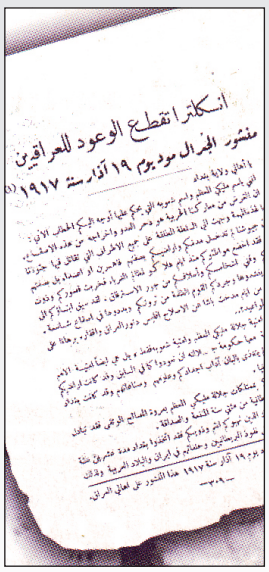
انكلترا تقطع الوعود للعراقيين
منشور الجنرال مودبوم ١٩ آذار سنة ١٩١٧

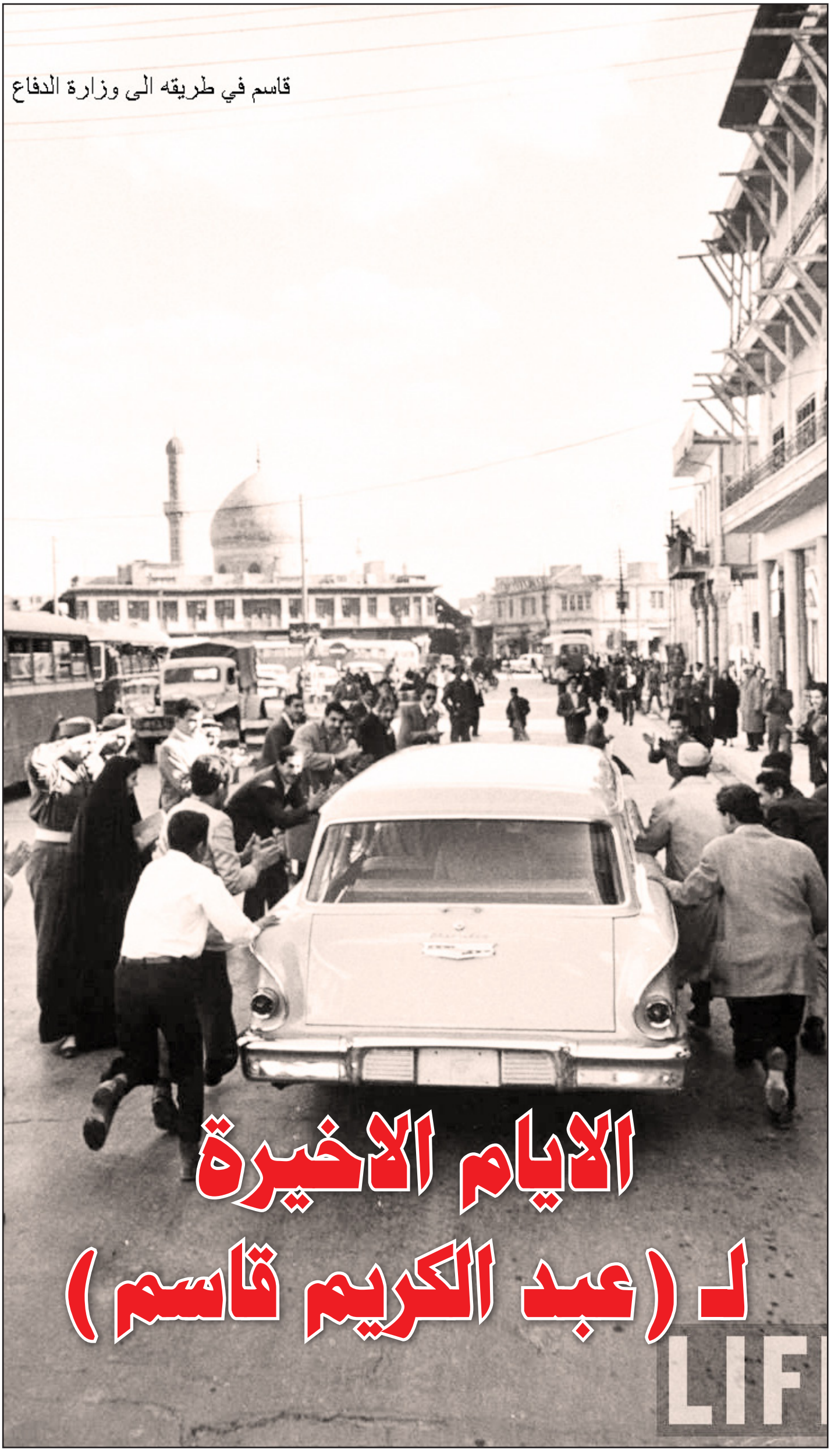
قاسم في طريقه الى وزارة الدفاع

الايام الاخيرة لـ (عبد الكريم قاسم)

كيف تأسست دولة العراق ونالت استقلالها قبل غيرها؟

عبدالكريم ثابت 1932

قام اخيرا الاستاذ كريم ثابت برحلة الى العراق وايران وانتهز فرصة اقامته في الدولتين الناهضتين لدرس احوالهما السياسية والاجتماعية وفي هذا المقال يسرد كيف استقل العراق وكيف تمكن العراقيون من انشاء دولة في عشر سنوات، ولايخفى ان هذه الدولة ستدخل جمعية الامم بعد اسابيع.

مطامع الانجليز في العراق

كان للانكليز مطامع قديمة في العراق وكانت رغبتهم بالاستيلاء عليه معروفة بغية ضمه الى امبراطوريتهم لقربه من الهند واتصاله بها، فما كادت تركيا تخوض غمار الحرب العظمى ويدرو القتال بينهم وبين الترك حتى اسرعوا بانزال جنودهم في سواحل العراق وتقدموا لاحتلاله فقاومهم الترك مقاومة شديدة، ولكنهم لم يكترثوا للصعاب التي لاقوها في طريقهم وظلوا يواصلون الزحف حتى دخلو بغداد في اوائل سنة ١٩١٧ وكانوا في اثناء زحفهم وتقدمهم يكيلون الوعد للعراقيين العرب بالحرية والاستقلال يمنونهم بانشاء الامبراطورية العظمى ويوزعون عليهم منشورات المغفور له الملك حسين ملك الحجاز الاسبق.

الادارة الانجليزية ونتائجها

وبعدما وطد الانجليز اقدامهم في بغداد استأنفوا الزحف متجهين نحو الموصل، فلما وصلوا الى "شرقاط" بينها وبين الموصل مسافة قصيرة، عقدت الهدنة بين الترك والحلفاء وامضيت شروطها في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٨ فوقف القتال ولكن الانجليز مضوا في تقدمهم نحو الموصل فدخلوها وبذلك صار العراق كله في قبضة ايديهم فتناسوا عندئذ وعودهم للعرب وللعراقيين بانشاء حكومة عربية مستقلة، وانشأوا في بغداد ادارة انجليزية مرتبطة بحكومة الهند، اي ان العراق كان يدار على شكل مستعمرة تابعة للهند فكانت الحكومة الهندية تتولى شؤونه وادارته وترسل اليه العمال والموظفين حتى امتلأت مصالحه ودواوينه بهؤلاء الغرباء الذين لايعرفون لغة البلاد ولا عاداتها وتقاليدها، وكان التشريع عبارة عن قرارات او اوامر يصدرها الحاكم العسكري او معاونه، وكان ضباط حامية الهند ايضا يتقلدون المناصب الادارية في الاقاليم والبنادر والارياف، فمنهم المديرون ومنهم ضباط البوليس ومنهم رجال الامن العام، حتى اصبح العراقي غريبا في بلاده بعيدا عن دوائر حكومته مقصيا عن الوظائف التي جعلتها السلطة العسكرية وقفا على الذين تأتي بهم من الهند او غيرها من الاقطار الاخرى.

الثورة العراقية

وسرعان ما عيل صبر العراقيين من هذه الحالة فطالبوا والحفوا بتعديلها ومنحهم حقوقهم والبر بالوعود والعهود المقطوعة لهم، ولما لم يجدوا آذانا صاغية تنادوا الى الثورة فاندلعت نيرانها في صيف سنة ١٩٢٠ وقد ابتدأت يوم ٢٢ يونيو باغتيال ضابطين بريطانيين في مدينة تلعفر التي تبعد بضعة كيلومترات عن الموصل، ثم شملت منطقة اواسط الفرات فحاصرت الحاميات البريطانية في المدن وقطعت عليها خط الرجعة، وكان عدد رجال الجيش الانكليزي في العراق يومئذ ستين الفا، فأعاد النظام بعد معارك عنيفة وبعد وصول نجدات جديدة اليه، وهكذا وجد الانكليز انفسهم امام حالة جديدة، فقرروا اجابة مطالب الامة والبر بوعودهم لها، وعكفت وزارة المستر لويد جورج على درس شؤون العراق دراسة دقيقة، فعرفت مكامن الداء واعراضه فقررت فورا تأليف حكومة برئاسة المرحوم السيد عبدالرحمن النقيب، نقيب اشراف بغداد، تستمد السلطة من مجلس وطني يمثل اعيان البلاد وعدد اعضائه ٢٠ عضوا منهم ثمانية يؤلفون هيئة الحكومة الجديدة ورئيسهم هو النقيب.

الملك فيصل في العراق

وكان جلالة الملك فيصل، حين اضطراب الحالة في العراق، في لندن وكان قد خرج

جلاء القوات الانكليزية يعني ترك العراق هدفا للغزوات وبقاء الاحتلال يجرح الكرامة الوطنية فما العمل؟

اموال النفط خصصت للري والخدمات فقط!

من سوريا على اثر احتلال الفرنسيين لها فاتفق مع الحكومة البريطانية على ان يرشح نفسه لمنصب ملك العراق وان يذهب الى بغداد لهذه الغاية.

وفي شهر يونيو سنة ١٩٢١ وصل جلالته الى البصرة وفي ١١ يوليو قرر المجلس العراقي او مجلس الشورى وقد قلنا آنفا انه يتألف من ٢٠ ذاتا، عرض عرش العراق على الملك فيصل فقبله وايد المندوب السامي البريطاني هذا الانتخاب واستفتى الشعب العراقي فنال جلالته ٩٦٪ من مجموع الاصوات وفي يوم ٢٣ اغسطس سنة ١٩٢١ نودي به ملكا.

التوفيق بين الفريقين

وكانت العلاقات السياسية يومئذ بين الحكومتين البريطانية والعراقية مبهمة مشوشة، فان الانكليز كانوا يتمسكون بالانتداب ويقولون ان جمعية الامم عهدت اليهم به محاولين الاشراف على الكبير والصغير من شؤون البلاد والتدخل في كل امر من امورها وجعل الاستقلال بجلائهم ورحيلهم عن البلاد بقضهم وقضيضهم وتركهم ادارتها لابنائها، وكان رأي العقلاء ان يبتكروا حلا يوفق بين الوجهتين المتناقضتين، لانهم ادركوا ان جلاء الانجليز عن العراق قبل ان يعود على اشد مما كان عليه في عهده السابق كما ان سيطرة الانجليز المطلقة على الادارة وتصريفهم للجليل والحقير من شؤونها لايسير بالبلاد الى الغاية التي تنشدها وتسعى لبلوغها، نقول ان العقلاء رأوا ان يبتكروا حلا يوفق بين الوجهتين المتناقضتين، فلم يجدوا احسن من عقد معاهدة تقرر علاقات الحكومتين احداهما بالاخرى.

المعاهدة والدستور

وكان اول ماعمله جلالة الملك فيصل بعد جلوسه على العرش انشاء حكومة جديدة برئاسة نقيب بغداد ففاوضت هذه الحكومة الانجليز لعقد معاهدة تحدد علاقات العراق بانجلترا بدلا من صك الانتداب الذي رفض العراقيون قبوله اساسا لعلاقاتهم ببريطانيا، وفي يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ تم توقيع هذه المعاهدة ومدتها ٢٠ سنة فلقيت معارضة شديدة من الوطنيين الذين رأوا في نصوصها غبنا ببلادهم، بيد ان ذلك لم يمنع الحكومة من مواصلة العمل فدعت الامة الى انتخاب جمعية وطنية حصرت مهمتها في ثلاثة امور:

١-التصديق على المعاهدة واقرارها.
٢-وضع دستور العراق.
٣-وضع قانون الانتخاب.

ومع ان الحكومة العراقية لقيت صعوبات جمة في حمل الشعب على الاشتراك في هذه الانتخابات بسبب الدعوة الشديدة التي بثت لمقاطعتها الا انها استطاعت جمع الجمعية فاجتمعت في شهر ابريل سنة ١٩٢٣ واقرت المعاهدة ووضعت الدستور وقانون الانتخاب فتم بذلك انشاء الحكومة العراقية الجديدة.

تعديل المعاهدة

غير ان المعاهدة العراقية البريطانية لم تلبث ان عدلت في سنة ١٩٢٤ وفي سنة ١٩٢٥ وفي سنة ١٩٢٧ وذلك تبعا للاحوال والظروف، وآخر معاهدة عقدت بين العراق وانجلترا هي معاهدة شهر يونيو سنة ١٩٣٠ وضمنت للعراق دخول جمعية الامم ونظمت علاقاته بانجلترا.

وقد اقر البرلمان العراقي هذه المعاهة وستنفذ من اليوم الذي يصير فيه العراق عضوا في جمعية الامم اي في شهر سبتمبر القادم.

تقرير العلاقات الخارجية

واتجه هم العراق بعد ذلك الى تقرير صلاته بجيرانه وتسوية المسائل المعلقة بينه وبينهم وفي مقدمتها شؤون الحدود، فعقد المعاهدات مع تركيا والحجاز ونجد واليمن، وعقد اتفاقات تمهيدية مع ايران.

وقد ادت زيارة جلالة الملك فيصل لطهران في الشهر الماضي الى تفاهم رجال الحكومتين العراقية والايرانية على اساس المسائل التي كانت لاتزال تفتقر الى تسوية وينتظر ان تعقد المعاهدات الخاصة بها، وزار الملك فيصل في السنة الماضية عاصمة تركيا الجديدة فكان لهذه الزيارة اثر كبير في توطيد علاقات حسن الجوار بين البلدين.

اهتمام بالاصلاحات الداخلية

ولم تصرف السياسة الخارجية المسؤولين من رجال العراق عن الاهتمام بالشؤون الداخلية. فاصلحوا الطرق والفوا جيشا منظما اصحبت البلاد تستطيع ان تعتمد عليه الان، واوجدوا شرطة ووضعوا لها نظما تماثل نظم الشرطة في ارقى بلدان العالم، وزادوا عدد المدارس وعنوا بزيادة عدد المدرسين العراقيين ونشطوا الصناعات المحلية على نحو ما تجلى في معرض بغداد الذي افتتح في شهر ابريل الماضي.

وستوقف الحكومة العراقية ايرادها من امتيازات البترول التي منحتها لشركتين انجليزيتين حتى الان على مشروعات الري الجديدة التي يراد بها احياء نحو مليوني فدان، وستكون ٨٠٠ الف فدان منها صالحة للزراعة خلال السنوات الخمس الاولى، وعلى تحسين الطرق الموجودة وانشاء طرق جديدة، وعلى تعميم المدارس ونشرها في جميع انحاء البلاد.

فمما تقدم يتضح ان العراق تقدم في جميع مرافق الحياة، واستطاع من خلال عشر سنوات ان ينشئ دولة على النظم الحديثة وان ينظم علاقاته الخارجية ويكفل التقدم المادي والادبي والعملي والاجتماعي لشعبه، ومما لاريب فيه ان الفضل الاكبر في هذه النهضة المباركة يعود الى ما اظهره العراقيون من التضامن القومي.

مجلة الهلال 1932

اسواق الموصل القديمة .. تاريخ في سطور ..

خليل ابراهيم

اذا استعرضنا نشأة وتطور اسواقها التجارية منذ ان فتحها العرب بقيادة ربعي بن الافكل سنة ١٦ هجري ٦٣٧ ميلادية حتى يومنا هذا وجدنا انها قد مرت بادوار مختلفة وانها على وجه العموم قد انتشرت في المراكز الحيوية للمدينة.

كما اختص البعض منها بنوع معين من البضاعة والبعض الاخر لايزال قائما في المكان الذي نشا فيه محتفظا بالاسم الذي اطلق عليه للمرة الاولى وهذا مايضفي على المدينة مسحة تاريخية .

وكمثل على هذه الاسواق التي لازالت تحتفظ باسمائها (سوق الشعارين) فقد ذكر هذا الاسم منذ القرن الاول الهجري ويقع الى الجنوب من دار الامارة المجاور للجامع الاموي انذاك جامع المصفى في الوقت الحاضر وكان يباع في هذا السوق مايحتاجه الجيش من حبال وخيام وهو يمتد في الوقت الحاضر من جامع النبي جرجيس الى التقاء هذا الشارع مع شارع نينوى .

ومن الاسواق القديمة التي بقيت محتفظة بأسمائها الى وقت يقل عن ربع قرن مضى (جهار سوك) او (شهر سوق) وهو من الاسواق الكبيرة والمهمة داخل المدينة وقد ذكر هذا الاسم منذ القرن الرابع الهجري ولما فتح شارع الفاروق في قسمه المحصور بين منطقة الساعة وباب الجديد واستكملت بلدية الموصل عددا من دكاكينه ودخلت مساحاتها في الشارع المذكور وفي سنة ١٩٥٤ استكملت البلدية ماتبقى منها وانشات حديقة صغيرة على هذا الشارع ومازالت المحلة تحمل اسم السوق الذي كان يقع فيها يومذاك .

وكمثل على هذه الاسواق القديمة التي لازالت تحتفظ باسمائها القديمة الى يومنا هذا سوق(السرج خانة) او (السراج خانة) فقد عرف بهذا الاسم منذ العهد المغولي وكان يباع فيه السروج التي تحتاجها الخيول وهو الى يومنا هذا من الاسواق الكبيرة المختصة ببيع الاقمشة المختلفة والكماليات المتنوعة واغلب رواده من النساء ولازالت المحلة تحمل اسم السوق الذي يقع فيها .

ولقد وصلتنا اسماء اسواق قديمة اخرى وعرفنا مواقع البعض منها الا ان الزمن عفي عليها ولم يعد لها ذكر في عصرنا هذا . ومن الاسواق سوق القنابين لبيع قتب الابل وسوق السراجين وسوق الاربعاء (كان يعقد في كل يوم اربعاء من كل اسبوع) وسوق التركمان هذا بالاضافة الى عدد من الاسواق والقيسريات المشهورة وما كان يحوي كل منها من دكاكين كثيرة .

والاسواق شأنها شأن بقية مرافق المدينة التي تختص بها فهي تستمد حيويتها من حيوية المدينة ولقد مرت على الموصل عهود مظلمة قاسية انكمشت فيها صناعاتها وتعطلت تجارتها واجدبت اراضيها الزراعية فاقفلت الاسواق ابوابها ولعل احرج هذه العود واطولها عمرا هي تلك التي اعقبت سقوط بغداد بيد هولاكو سنة ٦٥٦ هجرية ١٢٥٨ ميلادية .

على ان ما نشاهده في الموصل في الوقت الحاضر من اسواق قديمة يمكن ارجاع مبدا إعادة نشاة وتطور عدد منها الى مايقارب من اربعة قرون مضت وقد توزعت هذه الاسواق في اماكن متعددة من المدينة وانحصر عدد منها في منطقة معينة فكون سوقا كبيرا اطلق عليه اسم السوق الكبير لوقوعه امام سراي الحكومة في العهد العثماني فقد اطلق عليه اسم (سوق باب السراي) وهي التسمية التي ترجع الى ما قبل الحرب العالمية الاولى ويعتبر هذا السوق من اكبر واشهر اسواق الموصل في الوقت الحاضر ويقع موقعه وسط المدينة بالتحديد..

بيوتات الكاظمية في العهد الملكي

لعلّ من الجوانب المهمة في الدراسات التاريخية والاجتماعية الحديثة الاهتمام بموضوعات البنى الاجتماعية الفاعلة ودورها في تطور الاحداث وتفاصيلها وفي السنوات الاخيرة، اخذت الدراسات الاهتمام بواقع الاسر المكونة لمجتمع اية مدينة او منطقة وفي محاولة جديرة بالاهتمام لبيان حوادث التاريخ من خلال توثيق المكونات الاجتماعية ومنها الاسر المتنفذة او المغمورة.

ولعل منطقة الكاظمية اكثر المناطق الاجتماعية تأثراً بالواقع الاسري ودوره في الاحداث. وسنستعرض في هذا المقال شيئاً عن بعض الاسر الكاظمية الكريمة بصورة موجزة.

ومن هذه الاسر بيت الجمالي من اسر بني شيبان ومنهم الدكتور فاضل الجمالي النائب في البرلمان في العهد الملكي ووزير خارجيته وكذلك وزير المعارف. وقد شكل وزارة برئاسته.

الاستاذ عبد الحسين الجمالي وكيل وزارة الخارجية في منتصف السبعينيات والحاج عبد الامير الجمالي الشخصية المعروفة في الكاظمية. والدكتور هادي الجمالي طبيب الاسنان المعروف.

بيت عبد الحسين الجلبي اول وزير معارف في حكومة عبد الرحمن النقيب الاولى التي شكلها بداية سنة ١٩٢١م وابنه الحاج عبد الهادي الجلبي العين في مجلس الاعيان في العهد الملكي صاحب المبرات الخيرية في الكاظمية والعراق كافة وقد بنى اول مستشفى اختصاص للأطفال (مستشفى اطفال الكاظمية) (حماية الاطفال) وابنه الوزير والنائب في البرلمان الملكي الاستاذ رشدي الجلبي. واخيراً الدكتور احمد الجلبي (العميل الأمريكي الذي تسبب في دمار العراق)×.

وبيت الجلبي في الكاظمية يرجعون الى قبيلة طي العربية.

بيت الخالصي: ويسمونهم الخالصية وهم من قبيلة بني اسد ومن اعلامهم الشيخ مهدي الخالصي الكبير والذي كان زعيماً دينياً كبيراً ومجتهداً جريئاً ووقف من قضية المعاهدة العراقية الانكليزية موقفاً صلباً ومنهم الشيخ محمد الخالصي المتوفى عام ١٩٦٣. ومن ادباء هذا البيت محمد رضا الخالصي المعروف بـ(شالجي موسى) ويعد المحامي عبد الرسول الخالصي من اشهر رجالات هذه الاسرة ثقافة وهو من كبار رجال القانون في بغداد استوزر اكثر من مرة ويرجع اليه الفضل في تشريع الغاء البغاء والقضاء عليه في العراق. (من أعلام هذا البيت اليوم الشيوخ مهدي وجواد وهادي الذين يناهضون الاحتلال الأمريكي للعراق).

بيت آل ياسين: وهي اسرة دينية معروفة لها مركزها الاجتماعي والديني ويرجع نسبهم الى قبيلة خزرج. منهم الشيخ محمد حسن آل ياسين والدكتور محمد حسين آل ياسين سفير العراق الاسبق في طهران والشاعر د. محمد خضير آل ياسين: وهناك في منطقة القطانة محلة صغيرة تدعى (فضوة آل ياسين) تعود للاسرة الكريمة.

بيت لبجة: وهم من بني سعد القبيلة العربية المعروفة وجدهم الحاج حسين لبجة المتوفى عام ١٨٧٠م ومن ذريته الحاج علي لبجة المتوفى عام ١٩٦٤م عم كاتب المقال والحاج موسى والحاج مهدي والحاج حسن اولاد الحاج حسين لبجة وعميد اسرتهم اليوم الحاج فلاح عبد الصاحب لبجة والعائلة مشهورة في الوسط التجاري.

بيت الاسترابادي: عائلة معروفة في الكاظمية ويرجع سوق الاسترابادي الذي بني قديماً الى العائلة. ومن وجهائهم الحاج عبد الهادي الاسترابادي المتوفى ١٨٩٤م والحاج مهدي الاسترابادي المتوفى عام ١٨٦٦م. والحاج عبد الهادي هو الذي ولاه مزهاد مرزا عمارة الصحن الكاظمي سنة ١٨٧٤م.

بيت سهيل: وهم بيت السيادة لقبيلة بني تميم في العراق والخليج وسائر الوطن العربي، ومن اعلامهم الأمير الشيخ حسن السهيل عضو مجلس النواب عام ١٩٣٧م وعضو مجلس الاعيان عام ١٩٥٥م والمتوفى عام ١٩٥٧م. محمد باقر السهيل وعلي السهيل وقمندار السهيل رئيس المؤسسة العامة للسياحة عام ١٩٧٦م ورجل القانون سهيل السهيل.

بيت الجواهري: ذرية الحاج محمد كاظم الجواهري نزيل الكاظمية عام ١٨٠٥م قادماً من اصفهان واسرة الحاج عبود الجواهري صانع السيوف العربية واسرة الصائغ عبد النبي الجواهري ورضا الجواهري.

عشيرة الخزعل في الكاظمية:
بيت الحاج (علي العبيد) وبيت عبد الامير ابو الفلفل الخزعلي واولاده (رشيد وصبري) وبيت كنعان اسرة المحامي عبد الرسول كنعان والرياضي السابق جمال كنعان رئيس نادي قريش الرياضي في العهد الملكي، ود. حازم عبد العزيز كنعان وابراهيم كنعان. (ويسمونهم في الكاظمية بيت جنعان).

بيت الحداد: اسرة الحاج حميد الحداد متولي الشريف المرتضى واولاده الحاج حسين وعبد الكريم الحداد واولاده جميل وسامي وسلمان وهم يرجعون الى ابو قاسم بني العباس.

بيت الحاج عايد وهم من السهيلات واولاده الحاج مكي والمرحوم نايف الشهيد حامد وشعلان وياسر وعلي وصائب.

بيت دَبي: وهم يرجعون الى عشيرة العنبكية وعميد الاسرة اليوم الحاج فاضل دَبي ومنهم عبد الامير دَبي وموسى دَبي.

بيت البابر: وهم جميلات اسرة الحاج هادي البابر ونافع وستار البابر واخوانه ومنهم سجاد البابر وعقيل البابر ومسلم البابر وباسم البابر.

بني سعد في الكاظمية:
بيت لطيف السعدي واخيه عبد الرزاق اسرة الخطاط ناجي السعدي.

بيت حاجم: اسرة عبد الله حاجم وجواد حاجم واولاده عدنان وسجان وسعد وسلمان.

بيت العبسلي: اسرة المرحوم الشيخ كاظم العبسلي وولده فارس وحسام وعميد اسرتهم اليوم زعلان العبسلي ومنهم الحاج عباس والحاج عبد.

الانباريون في الكاظمية: ومن اسرهم في الكاظمية الحاج راضي الحاج هلال ومنهم اسرة الحاج علي وابنه الحاج فاضل الانباري امين عام العتبة الكاظمية المقدسة اليوم.

من العبيد في الكاظمية:
بيت (عبد الله الضايع) اسرة الحاج عارف واولاده سليم وشاكر وجمال والحاج رجب الضايع واولاده عدنان واخوانه.

بيت الحاج رشيد شومان اولاده الحاج مجيد شومان وحاج سبهان وحاج حاتم.

بيت عبد الامير بسفروش
بيت عبد الامير ششترلي
بيت الحاج رضا المحلاتي
بيت عدولة
بيت الكاشية
بيت الكاتب
بيت البير
بيت ابو النشا

بيت السادة المدامغة ولهم زقاق محلة عكد السادة وعند دخول الاحتلال البريطاني العراق عام ١٩١٧م كتبوا لوحة نحاسية في رأس الزقاق (جادة اشراف سي) نقلاً عن كتاب بغداد كما عرفتها للدبلوماسي المعروف أمين المميز.

بيت الفتال
بيت الرتستي
بيت العطار
بيت السيد نصر الله
بيت الشديدي
بيت الاصفهاني
بيت زيني
بيت شطيط

كتاب بغداد في الذاكرة / محمود الورد

محمد حديد :

مذكراتي و بدايات الحركة الديمقراطية في العراق

سمير عبد الرسول العبيدي

شغلت مذكرات الساسة العراقيين حيزاً واسعاً للعراق المعاصر من المكتبة التاريخية التي وثقت لتاريخ العراق المعاصر ويعود ذلك الى كونها تمثل شهادات حية لاشخاص عاصروا الاحداث بل ربما اسهموا في كثير من الاحيان في صناعتها .

واذا كان ذلك يحتسب لهذه النوعية من الكتب فانه يجب الالتزام بجملة من الامور قبل الاخذ بما جاء فيها من حقائق باعتبارها مسلمات يجب الاخذ بها من دون بحث وتمحيص .

ولعل اول ما يجب القيام به هو القراءة المتأنية للمقدمة سواء اكانت قد خطت من قبل اشخاص مقربين من صاحب المذكرات ام من قبل المحقق ان وجد ، وكلا الامرين في النهاية سواء فنحن نتحدث في النهاية عن اشخاص لهم رؤى واجتهادات شخصية املتها الظروف المحيطة بهم والتي قد يجهلها القارئ لكنها تحدد طبيعة ونوعية المعلومات التي يتم تدوينها تكونت المذكرات من تمهيد تليه مقدمة بقلم نجدة فتحي صفوة (ص١٥-٣١) تضمنت عرضاً وافياً لسيرة محمد حديد بدءاً من ولادته في الموصل في ٢٨ / ١٠ / ١٩٠٧ الى حين وفاته في لندن في ٣/ ٨ / ١٩٩٩ وهي تتضمن ٢٠ فصلا مع فصل خاص ضم ٩ ملاحق وتقسم الى قسمين ضم الاول الفصول (١-٧) (من ٣٥-٢٩٩)وهي تشمل مرحلة ما قبل ثورة ١٤ تموز / يوليو ١٩٥٨ في حين تبحث بقية الفصول (٨-٢٠) في المرحلة التاريخية والتي تنتهي بانقلاب ١٧-٣٠ تموز ، يوليو ١٩٦٨ .

ولد محمد حديد في مدينة الموصل في ٢٨/ ١٠/ ١٩٠٧العائلة ثرية ، اذ كان والده الحاج حسين حديد (١٨٦٣-١٩٥٨) من كبار تجار المدينة ، وقد اتاح له ذلك الفرصة لاكمال دراسته الثانوية في كلية ملحقة بالجامعة الاميركية في بيروت حيث دخلها في العام ١٩٢٤ ليتخرج منها بعد عامين ويبدو ان طموحه العلمي قد تجاوز ماهو متاح له في العراق ، فقرر ان يسافر الى لندن لاكمال دراسته الجامعية فانتسب الى مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية في عام ١٩٢٨وهي احدى كليات جامعة لندن العريقة وفي حزيران / يونيو ١٩٣١ انهى دراسته مع مرتبة الشرف ، حيث تعين في ايلول / سبتمبر من العام نفسه في وزارة المالية بوظيفة مفتش مالي ، ولدى استقراره في بغداد شرع بالاتصال بزملائه السابقين في الدراسة ، ولعل من ابرزهم عبد الفتاح ابراهيم (١٩٠٦-٢٠٠٦) وتم تداول الحديث عن استئناف نشاط (جمعية الشعبية) والتي شكلت في ما بعد نواة لجمعية (الاهالي وقد دون محمد حديد وباسهاب المراحل التي مرت بها الجماعة ومواقف الاعضاء المؤسسين والانشقاقات التي حدثت فيها واسبابها مع تقديم وجهة نظر الجماعة من الاحداث السياسية المختلفة ولعل ابرزها اشتراك بعض الاعضاء في حكومة حكمت سليمان (٢٩/ ١٠/ ١٩٣٦ - ١٧/ ٨/ ١٩٣٧) والتي انتهت باستقالتهم في ١٩ / ٦/ ١٩٣٧ بسبب الخلاف مع رئيس الوزراء ، والتي كان من اهم نتائجها اعتزال السياسي الوطني محمد جعفر ابو التمن (١٨٨١-١٩٤٥) الحياة العامة . في حين قرر كامل الجادرجي (١٨٩٧-١٩٦٨) اعتزال المناصب الحكومية ، وتشكل هذه الاحداث اهم مواد الفصلين الثاني والثالث واللذان ينتهيان بعودة الاحتلال البريطاني المباشر عقب هزيمة الجيش العراقي في ايار / مايو ١٩٤١ . وفي خضم انشغاله بالشان السياسي لم يهمل محمد حديد الجانب الاقتصادي فخصص الفصل الرابع لهذا الموضوع والمعنون (في المجال الصناعي) تطرق فيه الى انشائه لمصنع الزيوت النباتية بالتعاون مع نخبة من التجار العراقيين منهم جعفر ابو التمن وكامل الخضيري وعبد الهادي الجلبي وغيرهم ثم يستعرض ظروف التأسيس وحفل الافتتاح برعاية الوصي وبعض اعضاء الوزارة . ولقد ترأس محمد حديد المصنع منذ تأسيسه وحتى ١٤ تموز يوليو ١٩٥٨ باستثناء مدة ٦ اسابيع شغل خلالها منصب وزير التموين في عام ١٩٤٦ واذا كانت الفصول السابقة تطرقت الى جملة من الامور وان طغى عليها الشأن السياسي فان المذكرات تبدأ واعتباراً من الفصل الخامس توثق لمسيرة محمد حديد السياسية وفي واقع الامر ان هذا ما يهم . المؤرخ والقارئ العادي ايضا ، ذلك ان شخصية كاتب المذكرات قد ارتبطت في اذهان العامة بوصفه سياسياً وعضواً مؤسساً في واحد من اهم الاحزاب السياسية العراقية وهو الحزب الوطني الديمقراطي الذي تأسس في نيسان /ابريل ١٩٤٦ وقد شرح محمد حديد وباسهاب في الفصول (٥-٨) كل ما يتعلق بنشاطات الحزب للمدة ١٩٤٦-١٩٥٤) وعلاقته بالسلطة وباحزاب المعارضة الاخرى ، وهي معلومات اراد بها الكاتب تبيان وجهة نظرة الخاصة وعدم ترك فجوة تاريخية ضمن الاطار العام للمذكرات ، اذ سبق ان تم التطرق اليها في عدد من مذكرات الساسة العراقيين منها مذكرات كامل الجادرجي كما قام عدد من الباحثين بدراستها اكاديمياً ومن ابرزهم د. فاضل حسين الذي كان احد منتسبي الحزب ، وهو ما يقودنا الى السبب الثاني ومفاده ان محمد حديد كان من ضمن نخبة من الساسة السابقين اهتمت وبشكل شخصي ومباشر بتقديم ارشيفها الخاص الى الباحثين وطلبة الدراسات العليا . لذا يندر ان نجد رسالة جامعية تمت كتابتها في عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي تخلو من اسماء مثل محمد صديق شنشل حسين جميل ، خليل كنه وغيرهم . شهدت مسيرة التطور السياسي في العراق تغييراً مفاجئاً بقيام ثورة ١٤ تموز يوليو ١٩٥٨ وهو ما دفع بمحمد حديد الى تخصيص الجزء الاكبر من كتابه لدراستها ضمن الفصول من (٨-١٨) وبدأها بمعلومة مفادها انه التقى بعبد الكريم . قاسم مرة واحدة في عام ١٩٥٦ ولم يتعد اللقاء حدود المجاملات ، ولكن على الرغم من ذلك لم يفته الاشارة الى الصفة التي اشتهر بها في ما بعد ، وهي حذره المفرط وغموض شخصيته ما انعكس بشكل مباشر على قراراته في ما بعد هكذا وكما هو معتاد في معظم الثورات حاول القادة الجدد التعاون مع قيادات المعارضة السابقة فتم استيزار بعضهم في اول وزارة للثورة وشغل محمد حديد منصب وزير المالية نظراً الى خبراته السابقة وعلى الرغم من ان هذه التجربة سرعان ما اصابها الاخفاق نظراً الى التباين الواسع في وجهات النظر ازاء القضايا التي واجهتها الثورة ، فقدم (الوزراء القوميون) استقالاتهم الجماعية في شباط ، فيراير ١٩٥٩ ، لكن محمد حديد بقي في منصبه على الرغم من الحاح كامل الجادرجي عليه بالاستقالة ، وربما يعزى ذلك الى قناعته الشخصية بوجوب منح مساحة اكبر للتغيير ، ورغبته بوضع المبادئ التي اعتنقها موضوع التنفيذ ، خصوصا وان المرحلة كانت مرحلة بناء وتجديد بحسب وجهة نظره لذا جاءت الفصول غنية بالاحداث والوقائع . وسرعان ما انعكست هذه الخلافات على علاقة محمد حديد بحزبه ، اذ يورد في وجهة نظره الخاصة حول الموضوع في رده على مطالبة كامل الجادرجي المستمرة له بالاستقالة من الوزارة ، فيذكر ما نصه (هذه الثورة انما وقعت بمبادرات منا ، وحققت كثيراً من الاهداف التي كنا نتوخاها وان الاعتراض على بعض الاوضاع الاستثنائية . القائمة وان كان محقاً فهو غير واقعي بالنظر الى ما احاط الثورة من تامر للاطاحة بها ولذلك فانني ارى ان من الواجب الاستمرار في التعاون مع الحكومة . اثر ذلك قرر محمد حديد ترك الحزب والاستقالة في ٣/ ٥/ ١٩٦٠والبدء بتشكيل حزب سياسي جديد باسم الحزب الوطني التقدمي الذي تمت اجازته في ٣٠/ ٧/ ١٩٦٠ واعقب ذلك انتخاب اللجنة المركزية والمكونة من تسعة اعضاء ، واختير محمد حديد لمنصب رئيس الحزب ومحمد السعدون نائبا للرئيس وخدوري خدوري سكرتير. لم يكن لهذا الحراك السياسي نتائج تذكر بسبب حال الانفلات السياسي التي ميزت تلك المرحلة من تاريخ العراق المعاصر ، والتي اهتم محمد حديد بتقويمها وخصص لها الفصل ١٨ (ص٤٦٣-٤٦٩) ولكن وعلى الرغم من موضوعية ما ورد فيه من اراء الا انها لم تكن بالجديدة وبقيت ضمن نطاق العموميات من دون محاولة الخوض في التفاصيل ، وهذا له ما يبرره ، وذلك ان محمد حديد بقي عقب استقالته خارج نطاق السلطة حوالي ٣ اعوام كانت هي في الواقع المراحل الاكثر اهمية من عمر النظام نفسه وعقب سقوط نظام عبد الكريم قاسم اثر انقلاب عبد السلام عارف في ٨/ ٢/ ١٩٦٣ تم اعتقال محمد حديد بتاريخ ١٣/ ٢/ ١٩٦٣ حيث بقي في السجن حتى تشرين الاول ، اكتوبر من العام نفسه وتم اطلاق سراحه من دون توجيه اي اتهام اليه . شكل انقلاب عارف نهاية لمسيرة جيل باكمله من الساسة العراقيين كان صاحب المذكرات من ضمنهم فاعتزل العمل السياسي وتفرغ لادارة اعماله التجارية وفي عام ١٩٩١ سافر الى لندن للعلاج ثم عاد بعد عامين لكن تدهور حالته الصحية اجبره على المغادرة نهائيا في عام ١٩٩٥ ليستقر في لندن الى حين وفاته في ٣/ ٨/ ١٩٩٩وفي الختام لايسعنا الا القول ان مذكرات محمد حديد تشكل اضافة متميزة لشخصية سياسية عراقية مارست العمل الوطني لما يقارب ثلاثة عقود وتقلبت في مناصب وزارية عدة ومهمة اشتهر فيها محمد حديد بالتجرد ونزاهة ذات اليد .

يوميات ثورة رشيد عالي الكيلاني من دفاتر الشرطة

د. محمد حسين الزبيدي

الخفارة من ٢/٢,١ - ٢/٨,١ / ٢/ ٤/ ١٩٤٢
١. وضعت قوة عسكرية حوالي ٤ لحراسة بناية البرق والتلفون.
٢. اتى مولود باشا لزيارة سعادة العام.
٣.اخبرتني التحقيقات بانها علمت من المعاون عبد الحميد الذي ذهب الى المطار لمراقبة الوضع اثناء مجئ السفير، ان معلومات اتت من الحبانية بان السفير لاياتي الا في المساء ويذهب الى السفارة ولهذا فالمستقبلين غادروا المطار.
٤. اتى حوالي ٥,٥ مصطفى بك العمري لزيارة العام.
٥. ثم اتي لزيارة العام المستر ادمونس.
٦. خابر في الساعة السادسة معالي وزير الداخلية يسأل عن سعادة العام ولم يبين شيئا. ٧. خابر بالساعة ٤/٧,١ عبد القادر بك الكيلاني وسأل عن سعادة العام وطلب ان يكلمه في بيته عند حضوره المقر. ٨. اخبر بوصول السفير البريطاني في الساعة الثامنة بسيارة وذهب الى السفارة واقيمت له حفلة عشاء في السفارة. ٩. اخبر بمرور مصفحتين من جهة المعسكر الى شارع الرشيد ومعها لوري وانها سارت الى جانب الكرخ. الخفارة من الساعة ٨ زوالية بعد الظهر الى ١٢/٨,١ ١. ان السيد محمد الصدر في الساعة ٧,٣٠ ب. ظ ذهب الى قصر الزهور وفي الساعة ٧,٤٥ ب.ط رجع وذلك بناء على اخبار مديرية شرطة بغداد. ٢. سيارات مصفحة منها ٣ وضعت في مقص خط قطار الموصل و ٣ في جسر الخر. ابراهيم الشاوي ٣/ ٤/ ١٩٤١ الخفارة من الساعة ١,٠٠ الى الساعة ٨ ب. ط ١. اخبر مدير شرطة بغداد على ان كتيبة صلاح الدين وضعت السيارتين المصفحتين للجيش العراقي تحت قيادة ضابط في محطة الكاظمية نحو سامراء يفتشون الاشخاص الذاهبين لجهة سامراء والداخلين. ٢. وصلت حضيرة تحت قيادة ضابط من الجيش العراقي الى مفخر شرطة جسر الخر ووضعت يدها على التلفون. ٣. اخبر ابراهيم العمر مدير بغداد بعدم توزيع الجرائد بعد طبعها ما لم يطلع عليها بعد الطبع من قبل مدير الدعاية. ٨- ٤/١٢,٣ ٨,٥٠ اخبر مدير شرطة كركوك بالرغم من التحريات لم يعثروا على اي اخبار عن مولود مخلص بمروره من منطقة كركوك والاستخبارات عنه مستمرة. ٩,٤٥ افاد مدير ادارة التحقيقات الجنائية بوجود الوصي في قصر الزهور. خفارة عبد الجبار صدقي ٣/ ٤/ ١٩٤١. من الساعة: ١٢ ب.ظ ١. في الساعة ١٢,٣٠ بعد منتصف الليل اتصل بي تلفونيا مدير الدعاية العام طالبا اتصاله بسعادة مدير الشرطة العام لمذاكرته حول افهام كافة مدراء الشرطة في العراق عن الوضع الاخير في بغداد وما يجب اتخاذه من قبلهم فاخبرته بذهابه للاستراحة في داره ويحتمل انه نائم. وفيما اذا يمكن قيامي بهذه المهمة، فاكد علي رغبته بان يتصل معه شخصيا وبعد استفهامي من مراسل مدير العام تاكد نيامه وعليه فقد اجل الاتصال به الى صباح الغد الموافق ٤/ ٤ في الساعة ٧-٨ ق.ظ وساعرض هذا الطلب لسعادة مدير الشرطة العام في الوقت المذكور. ٢. في الساعة ٣,٠٠٠ ب. ظ اتصل بي على المسرة القائد العام كامل بك شبيب وسألني هل اخذتم خبرا عن وصول الوصي الى البصرة اجبته بالنفي وسالني عن مدير الشرطة العام اخبرته بداره واعلمني انه سيتصل به. ٣. في الساعة الثالثة والنصف طلبني سعادة مدير الشرطة العام وسألني عما اذا يوجد شيء عرضت على سعادته ماتضمنته الفقرتين اعلاه. ٤. امرني مدير الشرطة العام في الساعة الرابعة والدقيقة عشر الاتصال بمدير شرطة البصرة السيد بهجت الدليمي والسؤال منه عما اذا كان سمو الوصي هناك واين نازل الى غير ذلك من الايضاحات واعلام سعادته. ٥. اخبرني بغداد- البدالة ان مدير شرطة البصرة الان بدار المتصرف وتلفون المتصرف خربان. طلبت ضابط الخفر فحضر المعاون حسين الملي وعندما سألته عن مدير الشرطة اجاب على الفور ان المدير بدار المتصرف وسبق ان ذهبت الى المدير وطرقت باب دار المتصرف كثيرا فلم يجاوبني احد والتلفون لايشتغل واعطيت هذه المعلومات الى سعادة مدير الشرطة العام كما انني سألته عن وصول الوصي اليهم اجاب انه لم يشاهده ولم يسمع بوصوله. ٦. حسب امر مدير الشرطة العام طلبت ثانية مدير شرطة البصرة على

عبد الاله

نوري السعيد

حده، ومفوض الميناء او المعاون فحضر كاتب المركز الشرطي مصطفى وسألته عن المعاون او ما مور المركز اخبرني بانهما في اوتيل شط العرب سألته عن وضع الوصي اعلمني بانه في اوتيل شط العرب. سئلنا من شط العرب حضر الكاتب شاؤول ولدى السؤال منه عن معاون المعقل ومامور المركز اجاب بعدم وجودهما في الاوتيل سألناه عن المسافرين من بغداد الموجودين عندهم اجاب لم يأت ولامسافر من بغداد ولكن قبل حضور شاؤول حضر اثنين على التلفون وعندما سمعا بان المتكلم معهما مدير شرطة تركا التلفون. ١. كان متصرف البصرة يومها صالح جبر ٧-في الساعة ٥،٣٠ب.ظ طلبت مرة اخرى المعاون حسين الملي و بعد السؤال منه اعلمني بان مدير الشرطة والمتصرف في الدار يعني دار المتصرف - لايمكن الوصول اليهما ابداً وذلك بامر المتصرف واكدت عليه بخصوص وصول الوصي. افاد بان المتصرف ومدير الشرطة ذهبا الى المطار المدني في هذه الليلة في ١٢ وبقيا في المطار نصف ساعة وعادا. عرضت هذه المخابرة لسعادة مدير الشرطة العام. ملاحظة:يستدل من مضامين هذه المخابرة ان سمو الوصي في فندق شط العرب. خفارة عبد الله عوني:٤/ ٤ / ١٩٤١ الساعة ١١٠،٣٠- خابر رئيس الحكومة طالباً مدير الشرطة العام. اجبته بانه ذهب الى البلاط للتوقيع في سجل التشريفات سألني عن اخبار البصرة فاجبته باتصالنا بمدير الشرطة وعلمنا منه بان الوصي وصل بطائرة انكليزية الى الميناء في منتصف الليل ونزل في شط العرب وزاروه كل من آمر الحماية وقائد شط العرب وان المتصرف اخذ مدير الشرطة واستقبلوه عند نزوله من الطيارة واخيراً المتصرف اخذ مدير الشرطة الى بيته وطلب منه المبيت هناك ولم يصل الى علمه من ان احداً طلبه بالتلفون من بغداد. ثم كلمني الرئيس عن محمد باقر سركشك وقبل ان يفهمني الموضوع قال:بانه قادم الى الدائرة حيث لا يرغب البحث عنه في التلفون. ٢- اخبرني مدير شرطة الموصل من ان المدفعي في الموصل وساكن في دار خالص معاون التسوية. ٤/ ٤/ ١٩٤١الساعة ١،١٥ خابرني رئيس الحكومة طالباً تسفير فواز والشريف حسين خارج العراق فوراً. عرضت الكيفية للعام حيث امر اخبار المتصرف. لاصدار امره بذلك وتبليغ مدير الشرطة لجلبهما وتبليغهما بالسفر. الساعة ١،٣٠ اخبرني رئيس الحكومة من ان السفير البريطاني جمع الهيئات الدبلوماسية والقنصلية الاجنبية في السفارة. وطلب التحقق عن

اتصل بي تلفونيا مدير الدعاية العام طالبا اتصاله بسعادة مدير الشرطة العام لمذاكرته حول افهام كافة مدراء الشرطة في العراق عن الوضع الاخير في بغداد وما يجب اتخاذه من قبلهم فاخبرته بذهابه للاستراحة في داره ويحتمل انه نائم.

هذا الخبر .اوعزت الى مدير التحقيقات الجنائية العام بذلك . الساعة :١،٤٥ اخبرني رئيس الحكومة من ان مناشير توزع وترمى في الطريق ضد الحكومة طلب تشديد المراقبة والقبض على الفاعلين. اوعزت الى مدير التحقيقات الجنائية والى مدير شرطة بغداد للمراقبة والقبض على الفاعلين. الساعة:٢،١٥ خابرني رئيس الحكومة وسأل عن مدير الشرطة العام فاجبته بانه ذهب الى الغداء. وامر بتبليغه لمواجهته عند مجيئه للدائرة. الساعة ٣،٢٥ اخبر بهذا مدير الشرطة العام خفر المقر العام لادارة الشرطة العامة. مدير الشرطة خليل علي :٤/ ٤/ ١٩٤١الساعة :٢،٤٠ ١-استلمت الخفارة من سلفي السيد عبد الله عوني الساعة ٢،٢٥ بعد الظهر في يوم ٤/ ٤/ ١٩٤١. وستبقى الخفارة بعهدتي حتى الساعة الثامنة بعد الظهر حيث يتسلمها مدير الشرطة السيد قاسم محمد بحسب الامر. ٢-لقد ترك سلفي ثلاث فقرات وهي المسجلة في الصحيفةماقبلها وطلب الي تقديمها الى مدير الشرطة العام حال وصوله الدائرة . للاطلاع. ٣-اتصل بنا مدير ادارة التحقيقات الجنائية واجاب عن الفقرة الاولى من الفقرات الثلاث المنوه عنها اعلاه. قائلا: ان تحقيقه قد اسفر عن معرفة عدم ذهاب احد في هذا اليوم الى دار السفارة من الممثلين السياسيين بل جاء هؤلاء الى الدار المذكورة بالامس قبيل الساعة الرابعة لتوديع السفير.ثم تناولوا الشاي هناك وبعد ذلك انصرفوا وانه علم بان مفتش الجيش كان قد زار السفارة اليوم. الساعة :٣،١٥ ٤-اراء معاون المأمور اللاسلكي ان محطة لاسلكي شرطة كمارك البصرة تحت مراقبة مديرية شرطة البصرة وقد بلغت لزوم تصدير برقية لاسلكية الى الموما اليه يطلب بها اليه مراقبة المحطة المذكورة. الساعة ٣،٢٥ ٥-اتصل بنا مدير الشرطة العام تلفونيا من داره وسأل اذا يوجد شيء يخبر به فاخبر بالفقرات الثلاث التي تلقيتها من سلفي واخبرته بالفقرة الاولى من محضر خفارتي. وقد اعلم بانه سيبقى الى ما بعد نصف ساعة في داره وسيخبر مقره بعد ذاك. للاتصال به عند وقوع خبر هام. الساعة :٦٣،٤٥-اتصل بنا تلفونيا متصرف لواء المنتفك (في الناصرية) ومدير شرطته كذلك وهو السيد علي سعيد واخبر بان ادارة الجيش قد تولت ادارة الشرطة هناك وانهما يرون بان التعاون ضرورياً في هذه الظروف، ولامانع لديهما في هذه اللحظة اي اثناء مخابرتهما كان حاضر بينهما آمر الحامية . يفيد مدير الشرطة بان الحالة هادئة في لوائه. ولايوجد ما يستحق الذكر. ملحوظة :وردت اخبار مضمون هذه الفقرة السادسة الى مدير الشرطة العام . ولكن لم اتمكن من الاتصال به حالياً. الساعة: ٤،٣٠ ٧- وردتنا صورة من البرقية الموجهة الى مدير شرطة البصرة من قبل معاون الامور اللاسلكي مضمونها تنفيذ ما ورد في الفقرة الرابعة وقد ربطناها في هذا السجل للاطلاع وتوديعها تسلسلاً من قبل الخفراء غداً الى الموظف المسؤول لتسجيلها وحفظها. هذا نص البرقية. التاريخ:٤/٤ رقم المنشئ :٤٧٠/م ح الى: مدير شرطة البصرة ، مكرر العام بغداد ، مكرر شرطة الكمارك بغداد . يرجى وضع محطة لاسلكي شرطة الكمارك تحت مراقبتكم والامر بعدم السماح للعمال بمغادرة المحطة والمراقبة مدة ٢٤ ساعة .انبئونا. × ٥/٤ /٤/ ٤١. ٨- الساعة :٤،٤٥ حضر مدير الشرطة العام واطلع على مندرجات الفقرات الملحة في هذا المحضر ،وقد غادر الدائرة في الساعة ٥،٠٠. ٩- الساعة ٦،٠٠ عاد الى الدائرة مدير الشرطة العام وسأل عما اذ كان يوجد شيء يذكر وبعد ذهبت الى حيث يتصل بنا. ١٠-الساعة : ٦،٣٠ حضر الدائرة السيد عبد الله عوني لغرض الاشراف والاستقصاء. ١١- الساعة :٦،٤٥ حضر مدير الشرطة العام وبعد الاستفسار ذهب الى داره.

حكاية أول إسالة ماء في بغداد

لم يكن اسم (الميدان) حديثاً في بغداد ، فقد جاء ذكره قديماً ، والميدان الحالي هو اول محلة يبتدئ بها باب المعظم الى داخل بغداد ، وفي العهد العثماني كان يمتد من باب المعظم حتى السوق المحاذية لجامع الاحمدية، الذي يطلق عليه اغلب الناس (جامع الميدان) ، وفي الميدان حديقة واسعة انشئت عام ١٨٨٩ ابان عهد والي بغداد (سري باشا) الذي وضع وسطها حوضاً فيه شذروان يقذف الماء ، واصبح الميدان افضل متنزه لاهالي بغداد لكونه يحوي تلك الحديقة والكثير من المقاهي الممتدة على جانب الطريق، وفضلاً عن ذلك فان اغلب الدوائر الحكومية العثمانية ، كالسراي والقلعة وثكنة المدفعية تقع فيه ، وفي باب القلعة المطل على ساحة الميدان تمثالان لأسدين وضعا على يمين الباب ويساره ، وامام باب القلعة مدفع كبير طوله ٤ امتار وقطر فوهته نصف متر مصنوع من النحاس ، يسمى (طوب ابو خزامة) وصورته مرفوعة سابقاً في المنتدى وقد كتب على ظهره بعد الفوهة ما يلي : (مما عمل برسم السلطان مراد خان ابن السلطان احمد خان) ، وعلى مؤخرته ما نصه (عمل علي كتخداي جنود بروه دكاه عالي سنة ١٠٤٧) اي عمل علي الذي هو رئيس الجنود في باب السلطان ، وبالقرب من باب المعظم شيد الفريق محمد فاضل باشا الداغستاني وكيل والي بغداد عام ١٩١٢-١٩١٤ داراً له على بعد ٥٠ متراً من الطريق الذي يقع الآن خلف مصلحة نقل الركاب والتي كانت تواجه سور بغداد القديم ، وما زالت تلك المحلة المعروفة بمحلة (السور) ، نظراً لولع الداغستاني الشديد بتربية الخيول العربية الاصيلة ، فقد اتخذ لها اصطبلاً واسعاً امام داره كما جمع في الاصطبل بعض الحيوانات مثل السبع ، الضبع ، النمر ، الدب ، الذئب ، الثعلب ، الحمار الوحشي ، الأيل وبعض الطيور كالنسر ، الصقر ، النعامة ، الطاووس والبط على اختلاف انواعه وجعل لتلك الحيوانات حديقة وسمح لاهل بغداد بالتفرج على هذه الحديقة الحيوانية عصر كل يوم خميس .

في خارج باب المعظم حيث بائعات اللبن يعرضن بضاعتهن هناك ، تشاهد امامك الطريق المؤدي الى بلدة الامام الاعظم مخترقا البساتين الباسقة نخيلها ، كما تشاهد ايضاً قشلة السوارية (ثكنة الخيّالة) والتي يطلق عليها البغادة (الكرنتينة) وهي محل الحجر الصحي لمكافحة الامراض والاوبئة المعدية ، ثم مستشفى الغرباء والعربات الخشبية التي تجرها البغال لنقل المواطنين بين بغداد والاعظمية بأجرة قدرها ١٠ بارات ، وعلى شريعة الميدان المحاذية للنادي العسكري الحالي اسست بلدية بغداد عام ١٨٨١ ماكنة لصنع الثلج والذي كان شبه الزجاج السميك (الجام) وليس كما هو حاله الآن ، والذي يوضع داخل التبن خشية ذوبانه ، ويباع بالوزن .

كان السقاؤن (جمع سقا) ينقلون الماء على ظهورهم او ظهور الحمير في قرب مصنوعة من جلود الاغنام ليوصلوها من الشرائع الى دور المواطنين ، وظلوا هكذا حتى عام ١٨٨٩ حيث انشيء في عهد الوالي (سري باشا) في ساحة خان لاوند (النائبية) بعد غرسها بالنخيل والاشجار ، حوض كبير للماء ليرتوي منه البغادة بدلاً من الماء الملوث وغير النقي الذي يجلب من الانهار مباشرة.

وفي عام ١٩٠٧ ايام الوالي (حازم بك) انشئت ماكنة اسالة الماء في بغداد بمضخة نصبت على شريعة الميدان وتم ايصال الماء بالانابيب للدور بأجرة شهرية مقدارها عشرة قروش لكل دار (١٠٠ فلس حالياً) وبذلك ارتاح اهالي بغداد من عناء الارواء عن طريق السقائين.

مسيرات احتفالاً بعيد الجيش 1959

شباط الشهر الذي اغتيل فيه الزعيم عبد الكريم قاسم ذاكرة عراقية تنشر في هذا العدد والعدد القادم صورا نادرة للزعيم الراحل احياء لذكراه

الايام الاخيرة من حياة عبد الكريم قاسم

حبيب تومي

٩ شباط ١٩٦٣ كان آخر يوم من حياة الزعيم العراقي عبد الكريم قاسم ، كان اسم هذه الشخصية الكارزمية مصدر حراك الشارع العراقي من شماله الى جنوبه ، وكنت شخصياً واحداً من الملايين الذين كانوا مستعدين عفوياً للتضحية والتفاني والذود عن حكم الزعيم عبد الكريم قاسم .في الساعة السادسة والنصف مساءً من يوم الأربعاء الموافق ٧ / ١٠ / ١٩٥٩ انهال على سيارة (قاسم) في منطقة رأس القرية وابل من نار الرشاشات والرمانات اثناء مرورها في شارع الرشيد في طريقها من وزارة الدفاع الى حفل الأستقبال في دار البعثة الدبلوماسية لألمانيا الشرقية في الباب الشرقي ، قتل السائق وأصيب عبد الكريم قاسم في كتفه الأيسر . اشترك في هذه المحاولة ستة اشخاص اصائل في العملية وهم أياد سعيد ثابت وخالد علي الصالح واحمد طه العزوز وسليم عيسى الزيبق وعبد الحميد مرعي وسمير عزيز النجم وعبد الوهاب الغريري . أما الأعضاء المساندين لهم فهم كل من صدام حسين التكريتي وعبد الكريم الشيخلي وحاتم العزاوي وقد اصيب الأولان بجروح واستطاعا الهروب الى سورية .

حينما فشلت هذه المحاولة بالتخلص من قاسم بدأوا بنسج خيوط محاولة انقلابية اوسع وأشمل . قبيل ٨ شباط ١٩٦٣ بعدة ايام كان عبد الكريم قاسم قد صرح لجريدة لوموند Le Monde بأنه يكتفي بالنوم لمدة ساعتين او ثلاث ساعات يومياً وهناك الكثير مما يجب عمله ، وكانت تبدو عليه علامات القلق والتعب والأرهاق

كان الأتفاق على صباح يوم الجمعة ١٤ رمضان الموافق ٨ شباط يوم تنفيذ الأنقلاب ، باعتبار ان الجمعة هو يوم وجود الضباط في الأجازات وهو يوم الأستراحة ، وتكون الشوارع خالية او قليلة المرور . في حدود الساعة الساعة الثامنة من يوم ٨ شباط وصل عبد السلام عارف الى كتيبة الدبابات في ابو غريب وانضم الى العقيد احمد حسن البكر واستقل كلاهما دبابة وضعها تحت تصرفهما امر الكتيبة خالد مكي الهاشمي ، فعادت بهما الى بغداد وتوجها الى دار الأذاعة وكان ضباط من حرس الأذاعة مشاركين بالمؤامرة ، فسيطروا على الأذاعة وأبنيتها واجهزتها الأذاعية .

في الساعة الثامنة والنصف صباحاً من يوم ٨ شباط اغتيل قائد القوة الجوية جلال الأوقاتي حسب الخطة وهذه اللحظة اعتبرت ساعة الصفر ، وفي هذه الأثناء قصفت مدرجات معسكر الرشيد لمنع الطيارين الموالين لعبد الكريم قاسم من الطيران .

في الساعة ٤٠ ، ٩ أذيع بيان رقم واحد الصادر من المجلس الوطني لقيادة الثورة بكلمات مفادها : قضي على (الطاغية) و (الخائن المجرم) عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع ، وكان هذا ادعاء مخالف للحقيقة إذ ان عبد الكريم قاسم في هذه الدقيقة كان في بيته ، وخرج يشق طريقه وسط الحشود عبر شارع الرشيد وكانت الحشود التي كانت تطالبه بالسلاح وتنشد بإيقاع واحد (ماكو زعيم ألا كريم) ونجح في الوصول الى وزارة الدفاع في العاشرة والنصف صباحاً ، ورفض الزعيم حتى اللحظة الأخيرة من تسليم السلاح للمدافعين عنه من الجماهير المحتشدة .

في الساعة الحادية عشر والنصف كانت دبابات الأنقلابين تطوق وزارة الدفاع المتحصنة وكانت هذه الدبابات بدأت تحصد بحشود المدافعين والتي دعاها الحزب الشيوعي للدفاع عن قيادة عبد الكريم قاسم . في الثالثة بعد الظهر بدأت معركة قاسم من مقره في وزارة الدفاع وفي هذه الأثناء اسقطت احدى الطائرات المغيرة على تحصينات عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع .

في الساعة الخامسة والنصف اعلن العقيد نصرت في ادعاء استباقي ان المقاومة توقفت ، لكن المعركة كانت مستمرة الى يوم ٩ شباط .

يوم ٩ شباط ظهراً بعد ان تدهورت الأمور ،

عند الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين من بعد ظهر السبت ٩ شباط اقتيد الزعيم والمهداوي وطه وكنعان الى استوديو التلفزيون ، وبلغوا بقرار المجلس الوطني لقيادة الثورة بأعدامهم رمياً بالرصاص واعتبرت المناقشة بينهم بمثابة محاكمة ، وعند تنفيذ الأعدام رفضوا وضع عصابة على اعينهم .

في منتصف الليلة التي قضي على حياة عبد الكريم قاسم ، نقلت جثته الى منطقة معامل الآجر الواقعة بين بغداد وبعقوبة ، وحفرت له حفرة ووضع فيها ببزته العسكرية وأخفيت معالم الحفرة أخفاءً تاماً ، إلا ان احد العمال شاهد ما جرى فاستعان برفاق له ليحملوا الجثة ويدفنوها في موضع ما بين المجمعات السكنية العمالية في المنطقة إلا ان الأمر لم يبق سراً فبلغ الأمر سلطات الأمن التي قامت بإلقاء القبض على المشاركين واحالتهم على المحاكم وقضت عليهم بأحكام ثقيلة ، ثم استخرجت الجثة ووضعت في غرارة اثقلت بكتل من الحديد الصلب ، وألقيت من فوق جسر ديالى في نقطة اتصال بغداد .سلمان باك .بذلك كان حظ قاسم من تربة العراق التي احبها اقل بكثير من حظ الحكام الذين قضى عليهم في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، الذي نقلوا فيما بعد الى المقبرة الملكية في بغداد .

عبد الكريم قاسم ونجيب الربيعي و مهدي كبة في احتفال عيد الجيش 1959

ب الربيعي في احتفال عيد الجيش 1959

المدعي العسكري ماجد امين

المقبرة الملكية . .

شواهد تحكي أحداثاً مهمة من تاريخ العراق المعاصر

نجاة تاموك

أشبه بمدينة مهجورة هرمت فيها الأشجار.. وغادرت ساحاتها تيجان الورد مثلما غادرت الحياة سكانها وحولتهم الى شواهد، هذه المقبرة الملكية التي ما ان تدلف اليها حتى تنبثق في ذاكرتك مرحلة لا تنسى من تاريخ العراق المعاصر

فتكاد تعيش وقوعاتها وتسمع البكاء والعويل الذي رافق جنازات الملوك والامراء والشخصيات المهمة الذين دفنوا فيها.

ففي جهة اليمين وفي غرفة مستقلة تضم قبر الملك فيصل الثاني كانت الشاهدة تاريخا حيا.. ولد الملك فيصل الثاني في ٢ آيار ١٩٣٥ وانتقل الى جوار ربه في ١٤ تموز ١٩٥٨ والى جانبه يرقد الملك غازي المولود في ٢١ آذار ١٩١٢ والمتوفى في ٤ نيسان ١٩٣٩.

ثم نقرأ شاهدة اسفل الحائط في مكان اخر فيها هنا يرقد جلالة الملك علي بن الحسين المولود عام ١٨٨٠ والمتوفى عام ١٩٣٥ و في مدخل مجاور يرقد جثمان الملكة عالية المولودة سنة ١٩١١ والمتوفية سنة ١٩٥٠.

وفي مدخل اخر يرقد عبدالاله وطفلة اسمها مريم كان عبدالاله قد تبناها لانه لم ينجب اطفالا.

وقبل ان ننتهي من زيارة القبور.. نظرنا الى حديقة المقبرة من خلال النوافذ الزجاجية الكبيرة الى قبرين يتوسطان الحديقة.. يقول الحاج نوري كمال الذي كان يطوف في المقبرة وهو يعيش بالقرب منها منذ عشرات السنين ان هذين القبرين يعود احدهما لجعفر العسكري اول وزير دفاع بعد تشكيل الحكومة العراقية ١٩٢١ تم دفنه في المقبرة الملكية تكريما لمنصبه الوزاري وكان قد قتل في ديالى ١٩٣٨ حينما ذهب ليتفاوض مع قائد الانتفاضة بكر صدقي اما القبر الاخر فهو لرستم حيدر رئيس التشريفات الملكية ووزير المالية، ويقال ان الاخير هو سوري الجنسية اتى به الملك فيصل الاول وقتله مفوض كان في حراسته حينما طلب منه ترقيته والبعض الاخر يقول بانه طلب منه سلفة مالية فرفض تلبية طلبه، وقد تم اعدام الجاني في باب المعظم برصاصات اخترقت وجهه.

احد المواطنين وأسمه غانم جميل علي الذي يسكن داخل حديقة المقبرة ويقوم بحراستها. ذكر لنا حين سألناه عن سبب خلو المقبرة من الاداريين والمسؤولين. كان هناك موظفون قام الشريف علي بتعيينهم في المقبرة الملكية بعد سقوط النظام السابق لكن اكثرهم استقالوا لان اجورهم كانت قليلة وتحولت خدماتهم الى الاوقاف آنذاك ولم يبق سوى شخص يُقال انه مشرف على المقبرة اسمه عمر القره غولي، وهو يأتي للتفقد بين الحين والاخر. ويتوافد على المقبرة زوار اجانب او شيوخ من كبار السن ممن تربطهم مع المرحلة الملكية ذكريات يرون انها تدعو للتأسي والأسف لما تحمل من معان طيبة في نفوسهم.

عامر عبد العظيم تحدث عن المقبرة ومقتل الملك غازي وهو من سكنة منطقة الاعظمية منذ الحكم الملكي، فقال:

- لقد كان الملك فيصل وعبدالاله يأتيان لزيارة الملكة عالية كل خميس وهما محملين بالورد وكنت حينذاك صبيا ألعب كرة القدم مع اقراني في الساحة القريبة من المقبرة.

وكان الملك حسين والملكة نور يأتيان للزيارة وقبل سقوط النظام بسنة جاءت الملكة نور وزارت عددا من القبور فيها..

وحتى مطلع الثمانينيات كان هناك ٣٥ موظفا يديرون شؤون المقبرة الا انها اهملت بعد ذلك لاسيما ما بعد احداث العام ١٩٩١ حتى سقوط النظام السابق، اذ جاء الشريف علي بن الشريف حسين راعي الحركة الدستورية العراقية واقام احتفالا كبيرا حضره العديد من المسؤولين وشيوخ العشائر ورجال الدين وقد القى كلمة دعا فيها للاهتمام بالمقبرة واعمارها ثم يصمت قليلا ويعاود الحديث مستذكرا مقتل الملك غازي فيقول كان الملك يقود سيارته بنفسه وكان سائقه سعيد احمد يجلس خلفه، فقام بضربه بعصا غليظة وقد ادعى فيما بعد ان الملك توفى بحادث اصطدام السيارة بعمود الكهرباء وقد توفى الملك وعمره ٢٧ عاما.

الحاجة سرية احمد الزيدي التي عاصرت الفترة الملكية ولديها من الذكريات الكثير.. ذكرت لنا بعض الوقائع منها ان عبدالاله والملك فيصل الثاني قام بقتلهما عبدالستار العبوسي ضمن حملة الانقلاب التي حدثت في تموز ١٩٥٨ وكان عمره ٢٣ عاما ويقال بأنه انتحر بعدها لشعوره بذنب كبير.. ويقال ايضا بانه قارب الجنون وهو يردد كل يوم بأن الملك فيصل وعبدالاله يتراؤون لي ويأتوني في المنام وهم يحملون الراية البيضاء بيد والقرآن بيد اخرى وهم يعاتبوني بمرارة.

الحاج محمود كامل فرحان (٨١) عاما حدثنا عما تحتفظ به ذاكرته عن احداث ثورة ١٤ تموز المجيدة اذ يقول: استيقظنا على اصوات الطلقات التي ثارت في البلاط الملكي ثم راح برهان الدين باشا يعلن عن حدوث انقلاب عسكري كبير.. ذهبت الى احد الاصدقاء في منطقة الكسرة وقد ارتديت ملابسي على عجل ثم خرجنا الى الشارع وشاهدت الوصي عبدالاله وهو (يُسحل) في الشارع بعد ان كان معلقاً في منطقة الكرخ قبالة وزارة الدفاع.

ان الانقلاب العسكري الاول حدث في العام ١٩٣٦ ضد رئيس الوزراء ياسين الهاشمي الذي كان يمتلك شخصية قوية حتى اطلق عليه لقب (ابو دماغين).

وقد اتفق الملك غازي مع حكمت سليمان وبكر صدقي وعملوا انقلابا ضد ياسين الهاشمي لاسقاط وزارته وقد قام بعملية الانقلاب آنذاك جعفر العسكري وزير الدفاع اذ كان العسكري شخصية محبوبة من قبل الجيش والشعب.

× وهل تتذكر بعض مجريات ذلك الانقلاب؟

- لقد حلقت الطائرات في الجو وقامت برمي مناشير على مجلس الوزراء في القشلة، قاد حملة الطيار في حينها محمد علي جواد- قائد القوة الجوية- الذي كان على صلة وثيقة ببكر صدقي وقتل معه في الموصل حينما ذهبا لحضور مؤتمر في تركيا، إذ قام التلعفري بالاعتداء على محمد جواد وقد صده بكر صدقي مدافعا عن صديقه فقتل معه.

ومما يجدر ذكره ان التلعفري كان يعمل جنديا برتبة عريف عند محمد جواد. اما جعفر العسكري فقد قتل من قبل ضابط جاء مع القوات التي زحفت من بعقوبة الى بغداد اثناء عملية الانقلاب.

اما الدكتور زكي محمد خليفة (٧٥) عاما الذي يسكن في منطقة الوزيرية منذ عشرات السنين يحتفظ بالعديد من الذكريات عن العائلة المالكة فيذكر منها: ان احدى اخوات الملك فيصل كانت تسكن في الوزيرية وكان عبدالاله يزورها مصطحبا الملك فضلا عن تجوالهم في المنطقة وكان مدير بنك الاعتماد عبدالاله حافظ يعمل حفلات تحضر فيها العائلة المالكة، وحينما حصل تتويج الملك اقيم احتفال كبير في

بغداد وكان الجيش (الخيالة) يضعون المصابيح على رؤوسهم في شارع الرشيد، والوزيرية بشكل عام كانت مليئة بالشخصيات السياسية المهمة ومنهم نجيب الربيعي ناظم الطبقجلي، صلاح الدين الصباغ، فهمي سعيد، محمود سلمان وقد تحولت بيوتهم الان الى مؤسسات او قاعات او مقرات حزبية لانها تقع في اماكن رئيسة ومهمة في المنطقة.

الحاج يونس محمد شريف الذي عاصر

الاحداث وهو طفل والتي حصلت ابان العهد الملكي.. يقول:
ان الملك فيصل الثاني كان على النقيض من عبدالاله فقد كان يقوم بأعمال انسانية ومشاريع خدمية كبيرة فهو من قام بافتتاح جسر الائمة وكان الغرض من انشائه ان يتسنى للناس زيارة الامامين موسى الكاظم وابي حنيفة.
اما الملك غازي فقد قام ببناء قبة (سقاية ماء) كانت تزود المارة والاهالي بالماء.. وقد سُرقت في احداث وثورة تموز ١٩٥٨.
المهندس عمر بدر الدين بادرنا بالقول وهو يحل ضيفا على الحاج يونس بقوله: حينما حدث الانقلاب تم الاستيلاء على جميع القصور الملكية ولم يجد الناس في وقتها شيئا فقد كانت جميع ادواتهم بسيطة وكانوا يملكون سيارة واحدة من نوع روز رايز زيتوني اللون.
وكان اثاثهم بسيطا.. فلم يتم العثور على اية مجوهرات او نقود وكانت رواتبهم تصرف من قبل وزارة المالية آنذاك ثم يعرج على تاريخ المقبرة فيقول:
– ان المقبرة الملكية بنيت من صخر الجلمود المسمى (حجر الشاطئ) وهي مغلفة بالطابوق اما الابواب والشبابيك فقد صنعت من خشب الساج.
ولا يفوتني ان اذكر لكم بأني رأيت بأم عيني المقبرة وهي تسرق وتنهب حينما سقط الحكم الملكي فقد تم تفريغها من جميع مقتنياتها من ثريات وأغراض!

أعمال للصيانة

وللتعرف على واقع هذا الاثر الذي يوثق مرحلة مهمة من تاريخ العراق وعائديته الادارية في الوقت الراهن.
التقينا السيد لؤي كمال جواد مدير عام الدائرة الهندسية في اوقاف بغداد فحدثنا بقوله:
– ان المقبرة الملكية تابعة من الناحية الادارية والمالية الى اوقاف بغداد.. ودائرتنا هي جهة فنية فقط، فقد قمنا في فترات سابقة بعدة اعمال منها قلع القبة الرئيسة والقباب المجاورة، بعدها تمت صيانتها بالكاشي الكربلائي كذلك تم صيانة جميع السطوح وتنظيم الشبكة الكهربائية وانارتها وصيانة الارضيات وابدال المرمر التالف فضلا عن قيامنا بتنظيم المداخل الرئيسية وصيانتها مع تأهيل كامل لسياج المقبرة.
× لكن الناظر لها يرى انها مازالت مهملة؟
– بالنسبة للمقابر في بغداد كما هو متعارف عليه حينما ينقطع فيها الدفن تكون تبعيتها لأمانة بغداد هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فان مسألة الاهمال الذي تعانيه حدائقها يفترض من الجهة الادارية والمالية هي من تقوم بتذكيرنا بهذا الامر وتبعث مندوبين للاطلاع والكشف عنها بين حين وآخر.

طراز معماري اسلامي على غرار المباني العباسية

ما من شك إن اي اثر تاريخيا كان ام تراثيا يستحق منا العناية والاهتمام، بكل ما يضمن له الديمومة والبقاء من جانب ومن جانب اخر البحث في ظروف نشأته وتكوينه واطلاع الاخرين على معالم آثاره التاريخية والتراثية.
والمقبرة الملكية تعد من المعالم الشاخصة والمهمة في تراث مدينة بغداد.. من هنا فقد سألنا الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف استاذ مادة التاريخ الحديث في جامعة بغداد عن تاريخ المقبرة فقال:
انشئت المقبرة الملكية على ارض تكونت بما كانت ترسبه مياه دجلة في العصور الماضية، ذلك ان هذا النهر كان يجرف تلك الترسبات الطينية من شاطئه الغربي (العطيفية سابقا) ويلقيها في شاطئه الشرقي المقابل حتى ارتفعت الارض هناك واصبحت جزءا من الجانب الشرقي من بغداد، وبالنتيجة اتخذ مجرى دجلة لنفسه شكله الحالي الذي يشبه ان يكون قوسا كبيرة تقع المقبرة وسطها وقريبا من موقع المقبرة اليوم كانت تقع محلة الاعظمية حيث كانت هناك مقابر الاسرة العباسية، التي تعرف بترب الرصافة وفيها دفن عدد كبير من الخلفاء العباسيين وبعض افراد الاسرة العباسية ولا ادري اذا كان مقصودا ان يجري اختيار مقبرة ملوك العراق المعاصرين في موقع قريب من مقابر خلفائه الاقدمين، ام انها المصادفة.
وفي العهود المتأخرة حين اتخذت الارض التي تقع فيها المقبرة الملكية اليوم شكلها الاخير عرفت المنطقة باسم (كرادة الاعظمية) بسبب وجود عدد من الكروم (مضخات المياه) وهي آلات لرفع المياه تحركها الدواب عند شاطئ النهر، وكانت الارض نفسها من اكثر الاراضي خصوبة وتشغلها البساتين وفيها عدد كبير من اشجار السدر العملاقة.
اختار الملك فيصل الاول هذه البقعة مقرا لاول جامعة عراقية في تاريخ العراق الحديث هي جامعة آل البيت وقد شيدت اول مباني هذه الجامعة على يسار الشارع المؤدي الى المقبرة الملكية، ولم تكن المقبرة نفسها قد بنيت بعد، وتشغل هذه المباني اليوم (الجامعة الاسلامية) وتقديرا من الملك للعلم والعلماء فقد اختار ان يكون مدفنه قرب هذه الجامعة، وكان قبره النواة التي انشئت عليها المقبرة الملكية.
وقد بنيت على الطراز العربي الاسلامي واريد في تصميمها ان تكون مثل المباني العباسية السالفة، وهو ما تجلى في ارتفاع قبتها الرئيسة وفي الرواقين على جانبي القبة.
وكانت توجد في اخر الرواق الايمن سقاية ماء جميلة تعلوها قبة وتحيط بالمبنى كله حديقة واسعة كانت مبعث اعجاب زوار المقبرة وسكان الحي في العهد الملكي.
وتمثل المقبرة اليوم إرثاً مهما في تاريخ العراق الحديث وهي تستحق ان يعنى بها بوصفها تضم احداث ملوك العراق الذين شغلوا مرحلة مهمة من تاريخه وفي بلد اخر غير العراق كان يمكن ان تكون معلماً سياحيا يقصده السائحون وأهل البلد على حد سواء.

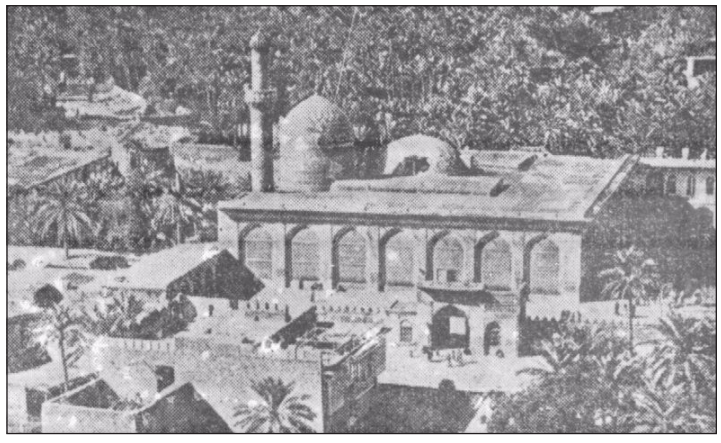

64 عاماً على عرض اول فيلم عراقي في بغداد

عبد الجبار العتابي

في ذاكرة السينما العراقية ثمة نقاط مضيئة ، مهما تراكضت الازمان يبقى تذكرها ضرورة من ضرورات الشغف السينمائي ، لاسيما ان السينما العراقية لن تأخذ مكانتها ولم تفتح لنفسها الافاق الفسيحة لتحلق فيها وتواكب حركة التطور العالمي فتعثرت لمرات عديدة وظلت طوال سنينها تحاول ان تكسر حاجز الخوف في داخلها ، فبقيت تئن من وجع الانتاج غير المجدي ومن تراكم الاخطاء ، وان كانت تحفل بتاريخ طويل وجرأة وامكانات ليست سهلة .
هنا .. ومن بين ركام السنوات وغبارها ومن بين الاشرطة التالفة ومختبرات التحميض ومشاكل موادها ، يستذكر السينمائيون العراقيون الخطوة الاولى التي بدأت قبل (٦١) عاما ، ففي العشرين من شهر تشرين الثاني / نوفمبر من عام ١٩٦٤ تم عرض اول فيلم سينمائي عراقي وهو فيلم (ابن الشرق) ، الذي كان انتاجه مشتركا ما بين العراق ومصر ، بين شركة افلام الرشيد العراقية وستوديو الاهرام ، وقد اخرج الفيلم المخرج المصري ابراهيم حلمي وأدى ادواره الرئيسية كل من : الممثل العراقي عادل عبد الوهاب والممثلة المصرية مديحة يسري ، وشارك فيه المطرب العراقي عزيز علي والممثل المصري بشارة واكيم وظهر في الفيلم ايضا المطرب الريفي العراقي حضيري ابو عزيز ، وقد عرض هذا الفيلم الذي بدأ العمل فيه عام ١٩٤٥على شاشة سينما الملك غازي ببغداد ، فصار هذا التاريخ عيدا للسينما العراقية قبل ان يتم العمل في اقتراح ان يكون عيد السينما العراقية هو يوم عرض فيلم (فتنة وحسن) قبل اربع سنوات لكونه فيلما عراقيا خالصا انتاجا واخراجا وفنانين وفنيين عام ١٩٥٤ .
والحديث عن هذا اليوم يدفعنا الى الحديث عن السينما العراقية والمراحل التي مرت بها ، السينما العراقية بدأت من الصفر ، من اللاشيء ، من حيث الندرة ، وتوسل بعض مالكي دور العرض السينمائي بالاخرين لصنع الافلام ، وتم الاتصال بالمخرج المصري لصنع شريطين احدهما (ابن الشرق) والاخر (القاهرة بغداد) الذي اخرجه احمد بدرخان ، واستعانوا كذلك بالمخرج الفرنسي (اندريه شاتان) لاخراج فيلم (علية وعصام) عام ١٩٤٨ ، ومن ثم المخرج المصري احمد كامل مرسي لاخراج فيلم (ليلى في العراق) ، وقد ادى فشل هذه الافلام تجاريا الى انسحاب مستثمري رؤوس الاموال من ميدان الانتاج السينمائي وازاء ذلك الفشل كان الحماس قد ألهب نفوس بعض الشباب العراقي من خلال المشاركة السابقة بالافلام المشتركة ، فبدأ حيدر العمر اولى الخطوات وقام بوضع اللبنة الاولى في صرح السينما العراقية ، فأخرج فيلم (فتنة وحسن) عام ١٩٥٤ ، وهو الفيلم العراقي الاول الخالص الذي لم تشترك فيه اية يد خارجية ، فقد كان عراقيا بكل مافيه من روحية وتفاصيل ، بهده تتابع المخرجون العراقيون في بناء السينما العراقية .
يقول المخرج السينمائي العراقي عبد الهادي مبارك : الانتاج السينمائي العراقي تقاسمته عدة قطاعات ، القطاع الاول الخاص : وهو الذي بدأت به السينما العراقية ، كان له قصب السبق وكانت حصيلته من الافلام (٤٦) فيلما بدأها بفيلم (ابن الشرق – ١٩٤٦) وختمها بفيلم (الزورق– ١٩٧٧) ، وبعد انقطاع طويل عاد هذا القطاع بفيلم اسمه (نرجس عروس كردستان – ١٩٩٢) ، والقطاع الثاني هو العام : بدأ انتاجه عام ١٩٦٨ بفيلم (الجابي) انتاج مصلحة السينما والمسرح التي انتجت كذلك فيلمي (شايف خير– ١٩٦٩) و (جسر الاحرار– ١٩٧٠) ، وقامت المؤسسة العامة للسينما والمسرح بانتاج فيلم واحد هو (الظامئون –١٩٧٢) وقامت دائرة السينما والمسرح بانتاج اول افلامها (الرأس –١٩٧٧)الى اخر افلامها (الملك غازي –١٩٩٢) ، وقامت دائرة التوجيه السياسي في وزارة الدفاع بانتاج فيلم واحد هو (شمسنا لن تغيب –١٩٨٧) ، اما القطاع المختلط فيتمثل في شركة بابل للانتاج السينمائي والتلفزيوني وقد انتجت اول افلامها (فايق يتزوج – ١٩٨٤) واخر افلامها (١٠٠٪) عام ١٩٩٢.
وتوقفت السينما العراقية عند الرقم (٩٩) حتى عام ٢٠٠٥ عندما اخرج المخرج الشاب عدي رشيد فيلم (غير صالح) ثم تبعه المخرج محمد الدراجي بفيلم (احلام) .
الاستذكار يدفعنا الى التوقف عند مدير قسم السينما في دائرة السينما والمسرح قاسم محمد سلمان ليستذكر معنا احوال السينما العراقية ، يقول قاسم : ابن الشرق هو بداية انطلاقة السينما العراقية ، والذي افرح الفنانين العراقيين مثل أي انتاج سينمائي بعده ، لكن الذي افرحني اكثر هو فيلم (فتنة وحسن) لانه عراقي مئة بالمئة والذي من خلاله احتفلنا بعيد تأسيس السينما العراقية في ٢٢/ ٦/ ١٩٥٥ ، ابن الشرق كان بداية مشجعة للسينمائيين العراقيين الذين اشتركوا مع اخوانهم المصريين لانتاج فيلمهم الاول ، واضاف : اتمنى ونحن نستذكر (ابن الشرق) ان لا نرجع الى الماضي ، وان نتطلع الى المستقبل ، لدينا قاعدة ان السينما بدأت بالقطاع الخاص ومن ثم استخدمت القطاع العام ، وهذا يدفعني الى ان اقول ان السينما العراقية يجب ان تكون حية ومستمرة ، واناشد الدولة كمخرج سينمائي ان ننظر الى المستقبل ، يجب ان تكون لدينا ستراتيجية وخطط لها ، ولا يمكن للسينما ان تنهض الا باستحداث ورش عمل وخطة عمل وتخصيص مالي وايفاد الفنيين ومنهم المخرجون للاطلاع على ما توصل اليه العالم ، ويفرحني جدا ان اشاهد الفيلم رقم (١٠٢) الذي انتجه المخرج الكردي احمد رستمي (مخاض الشعب) الذي يحمل مؤثرات صورية وصوتية ويؤكد ان السينما العراقية ما زالت حية .
وبوقفة بسيطة امام اهم المحطات في تاريخ السينما العراقية نستذكر ما يأتي :

× اول فيلم عراقي (ابن الشرق –١٩٤٥) اخراج ابراهيم حلمي .
× اول فيلم عراقي خالص (فتنة وحسن –١٩٥٥) اخراج حيدر العمر .
× اول فيلم عراقي ملون (نبوخذنصر –١٩٦٢) اخراج كامل العزاوي وهو اول فيلم تاريخي .
× اول فيلم عراقي مأخوذ عن رواية هو (وردة –١٩٥٧) عن رواية توفيق الحكيم (يوميات نائب في الارياف) .
× اول فيلم عراقي كوميدي (مشروع زواج – ١٩٦٢) اخراج كاميران حسني .

وثائق

العائلة المالكة في العراق .. مواقف وذكريات

كاميل صبري

ولدت الملكة عالية في مكة المكرمة يوم ١٩ كانون الثاني من عام ١٩١١ وهي ابنة الملك علي اكبر انجال الملك الحسين بن علي، الذي كان في احدى غزواته عند ولادتها. فسماها جدها الحسين بن علي باسم (عالية). وفي العام الرابع من عمرها سافر والدها الى المدينة المنورة وبقي هناك عاماً للاشراف على بعض الشؤون العشائرية، وفي شهر آب عام ١٩١٩ بعد ان انتهت الهدنة استدعى الحسين بن علي عائلة نجله الامير علي الذي عين اميراً للمدينة المنورة اليه وعندها شاهدت الاميرة عالية والدها بعد غياب خمسة اعوام تقريباً.

وعندما نودي بالامير فيصل ملكاً على سوريا ارسلت الاسرة الهاشمية الامير عبد الاله الى سوريا لحضور حفلة التتويج، فاصطحب معه والدته وشقيقاته، كانت الاميرة عاليةصغيرة السن ولكنها اعجبت بسوريا واحبتها ، وكونت صداقة مع طالبات المدرسة التي انتمت اليها ، فاحبتهن واحببنها، غير ان المقام في هذا البلد الجميل لم يطل فكان لابد من عودة اهلها الى مكة المكرمة حيث عادت عام ١٩٢٤ الى الدار التي ولدت فيها في محلة (القشاشية) لتكون في ظل رعاية جدها الحسين بن علي ووالدتها الملكة نفيسة. في عام ١٩٢٣ تازم الوضع السياسي بين الحسين بن علي والحكومة البريطانية حول المعاهدة العربية – البريطانية واصر الملك على رفض الانتداب، عندئذ طلب اليه التنازل عن العرش لولي عهده الامير علي. غادرت الاميرة عالية وشقيقها عبد الاله وبقية افراد الاسرة ميناء(جدة) على ظهر الباخرة (رضوي) متوجهين الى العقبة ومنها الى عمان، وبعد وصول الملك علي الى العراق دعا الملك فيصل الاول الامير عبد الاله واسرته الى بغداد ليكونوا بالقرب من والدهم الملك علي، وتم زواج الملكة عالية بالملك غازي الاول يوم ٢٥ كانون الثاني عام ١٩٣٤ فاصبحت منذ تلك الليلة الملكة عالية وانتقلت الى مقرها في قصر الزهور، وفيه اخذت تتلقى دروساً مكثفة في ا لعلوم والثقافة والادب. وفي الساعة الثامنة والنصف من يوم ٣ مايس ١٩٣٥ ولدت الملكة عالية ابنها فيصلاً، وقد تفرغت لتربية طفلها الصغير تفرغاً كاملاً. فكانت العين الساهرة عليه. لايشغلها اي امر عنه وعن رعايته ولايغيب عن عينها لحظة واحدة. ولاشك ان وفاة الملك غازي الاول زوجها وابن عمها المبكرة كانت صدمة كبيرة لها حاولت ان تعوضها بتركيز اهتمامها بنجلها فيصل بصفته ابناً وصديقاً، وهذا ماستجده في تناولنا لحياة الملك فيصل الثاني في بواكير صباه. وفاة الملكة عالية في منتصف عام ١٩٥٠ حين اقامت الملكة عالية مع ابنها الملك فيصل الثاني في لندن شكت من اوجاع في اسفل بطنها، واشتد عليها المرض. وكان الامير عبد الاله حينذاك في بغداد، فسافر مسرعاً الى انجلترة في السابع من اب ١٩٥٠ليكون الى جانب شقيقته، وللاشراف على العملية الجراحية التي تقرر اجراؤها لها وفي ٢٣تشرين الاول ١٩٥٠ عاد الامير عبد الاله وشقيقته وابنها الملك فيصل الثاني الى بغداد نزولاً عند رغبتها. عادت الى بغداد بعد ان ثبت للاطباء الاختصاصيين ان مرضها قد استفحل في جوفها واصاب كل عضو فيه، ولم يبق في وسع الاطباء الا استخدام الادوية لتسكين الالام المبرحة التي يثيرها ذلك المرض الخبيث. يقول الدكتور (كمال السامرائي) الذي اشرف على رعاية الملكة عالية الطبية في ايامها الاخيرة، وقد نسب للاقامة في (قصر الرحاب) لهذا الغرض:(فوجئت بخبر مرض الملكة عالية ساعة استدعاني رئيس التشريفات الملكية (تحسين قدري) الى قصر الرحاب. وكان قد سبقني اليه الدكتور (هاشم الوتري والدكتور هادي الباجه جي) وكان معهما الدكتور الانجليزي (دكسن فورث). كانت الملكة عالية ذات حلاوة في خلقتها وخلقها، وفي نطقها وحديثها، باسمة دوماً، ولاتنسى قط ان تشكر من يقدم لها خدمة مهما كانت ضئيلة. كما كانت عطوفة على الفقراء، كانت هذه المراة ملكة نبل لا ملكة حكم. وفي يوم الاربعاء ٣٠ كانون الاول عام ١٩٥٠ اشتد المرض على الملكة عالية فطلبت ان ترى والدتها وشقيقاتها واوصتهن جميعاً برعاية شقيقها عبد الاله وابنها فيصل وان يكن في خدمة الملك وخدمة الشعب العراقي وفي الساعة التاسعة وعشر دقائق يوم الخميس ٢١كانون ١٩٥٠ بدات الملكة عالية تلفظ انفاسها الاخيرة،وفي تمام الساعة التاسعة والدقيقة العشرين من صباح ذلك اليوم وقفت نبضات قلب الملكة الى الابد. واذاعت الحكومة نص التقرير الرسمي الصادر عن هيئة الاطباء وجاء فيه:(كانت صاحبة الجلالة الملكة عالية قد اصيبت منذ عدة اشهر بورم من النوع السرطاني في اسفل البطن ادى الى انسداد. في الامعاء فاجريت لجلالتها عملية اولية مستعجلة لرفع هذا الانسداد ،اردفت بعملية ثانية ، الا انه تبين مع الاسف استحالة هذا الاستئصال ، وقد ساءت صحة جلالتها في الايام الاخيرة واستولى عليها الهزال تدريجياً، الى ان اختارها الله تعالى لجواره، فقاضت روحها الطاهرة صباح هذا اليوم ١١ ربيع الاول ١٣٧٠ المصادف ٢١ كانون الاول١٩٥٠ في الساعة التاسعة والدقيقة العشرين بهدوء وسكينة. وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة ٢٢ كانون الاول١٩٥٠ شيعت الملكة عالية الى مثواها الاخير في المقبرة الملكية في الاعظمية، واطلقت المدافع مائة طلقة وطلقة عندما ووريت التراب فيما اتسمت مراسيم الوفاة ومجالس العزاء التي اعقبها بالوقار والاحترام الكبيرين للمكانة التي احتلها زوجها الراحل المغفور له الملك غازي الاول علاوة على كونها ام الملك الذي ينتظره الشعب العراقي. الملك فيصل بن غازي ولياً للعهد: كان الملك المغفور له غازي الاول (ملك العراق) من ١٩٣٣-١٩٣٩ قد تزوج من ابنة عمه الاميرة عالية بنت الملك علي التي انجبت له ولي عهده ولده الوحيد فيصل في الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم الخميس الموافق ٢مايس١٩٣٥ في قصر الزهور ببغداد،وجاءت تسميته تيمناً باسم جده الملك فيصل الاول. وبهذه المناسبة اقيمت معالم الزينة في الشوارع العامة وجرت الاحتفالات الرسمية في الدوائركافة ابتهاجاً بقدومه، بعد ان دفع الدكتور (كينيدي) والدكتور(سندرش) اللذان قاما بالاشراف على الولادة تقريرهما الصادر ظهر اليوم نفسه والذي نص على مايلي:- (ولدت جلالة الملكة عالية في الساعة الثامنة والنصف من هذا الصباح ٢مايس وحالتها جيدة) انتشر الخبر في انحاء البلاد،وعكست الفرحة ما كان يتمتع به والده الملك غازي الاول من شعبية كبيرة وعاطفة بين الناس. وانهالت التهاني على والده الملك من الاقطار كافة وفي يوم الخميس٧ تشرين الثاني ١٩٣٥ جرت حفلة ختان ولي العهد (فيصل) في قصر الزهور، وحضر الحفل الامير عبد الله امير شرق الاردن واركان البيت الهاشمي. عنيت بتربية الامير الصغير (فيصل) والدته الملكة عالية وخالته الاميرة(عابدية) ومربيات انجليزيات اشرفن على العناية به على راسهن المربية الانجليزية (المس ديميرس)،وقد اراد والده منذ البداية ان ينشأ الامير فيصل نشأة طبيعية خالية من التكلف او الشكليات الرسمية التي تركز لديه نزعة المكابرة التي لا داعي لها . وكانت هذه صفات الاسرة الهاشمية التي عرفت بتواضعها وبساطتها.فقرر ان يهيأ هذا الطفل الوديع كملك لبلاد تتنازع عليها وعلى خيراتها اطراف عدة. وكانت اصابته بالربو في طفولته مثار قلق دائم لافراد الاسرة المالكة.فكثيراً ماظل طريح الفراش يبتسم وهو في اشد حالات المرض خطورة. الوصاية على الملك فيصل الثاني بعد فاجعة والده: قرر ان يتم اعلان الامير فيصل بن غازي ملكاً على العراق وهو في سن الرابعة من عمره بعد ان فاجأت وزارة نوري السعيد الراي العام العراقي في الساعة التاسعة من صباح يوم ٤ نيسان ١٩٣٩ بمصرع الملك المغفور له غازي الاول على اثر اصطدام السيارة التي كان يقودها بنفسه بعمود كهربائي، فقد اجتمع مجلس الوزراء في قصر الزهور، واعلنوا الامير فيصل بن غازي ملكا على العراق باسم (فيصل الثاني) في هذا الصدد يقول السيد (عمر نظمي) وزير الداخلية في مذكراته: في ليلة الرابع من نيسان عام ١٩٣٩ اتصل بي رئيس الوزراء (احمد مختار بابان) هاتفيا واخبرني بوفاة الملك غازي، وطلب مني مرافقته للذهاب الى قصر الزهور، فاجبته: ارجو منك ان تصحبني الى هناك بسيارتك لانني كما تعلم لا املك سيارة (تصورايها القارئ وزير داخلية لايملك سيارة) واجتمع في البلاط الملكي رئيسا مجلسي الاعيان والنواب باعضاء الوزارة السعيدية الثالثة وبرؤساء الوزارة السابقين للمداولة وفقا لاحكام الدستور للتصويت على من يجب ان يتولى الوصاية على الملك الطفل حتى يبلغ سن الرشد القانونية. اذ نصت المادة (٢٢) من الدستور العراقي انه في حالة انتقال العرش الى شخص لم يبلغ السن القانونية (الثامنة عشرة) فيجب ان يمارس امتياز

التاج وصي حتى يبلغ سن الرشد القانونية وكان هذا يعني انه سيكون ملكا دون سلطات لمدة اربعة عشر عاما، وهكذا تم اختيار الامير عبد الاله بن الملك علي وصيا على الملك فيصل الثاني، ونظرا لدور الوصي عبد الاله في سياسة العراق بعد ذلك وفي نشأة واعداد الملك فيصل الثاني والتاثير على شخصيته وتوجهاته لابد لنا ان نرجع الى خلفيات هذه الوصاية وكيف اريد لها ان تتصرف بموجب اهداف مرسومة انعكست على تربية الملك فيصل الثاني بحيث بدا في نظر العراقيين فيما بعد انه تعهد بعدم تنشئته نشأة وطنية وقومية، وترك امر تربيته للحاضنات الاجنبيات ثم ارسله الى بعض المدارس الانجليزية في لندن ليعيش في اجوائها الارستقراطية، وهذا ما كان يريده له عبد الاله ليستمر في سيطرته عليه عند ممارسته لسلطاته الدستورية، وهكذا كان فانه بقي اي (عبد الاله) المتنفذ والمسيطر على سياسة البلاط حتى بعد انتهاء عهد وصايته، بحيث وصف الملك الشاب فيصل الثاني انه لم يكن سوى (دمية) من دمى البلاط الملكي لاحول له ولاقوة ولا راي ولا ارادة، وكان كالببغاء يردد في المناسبات ما يلقنه الوصي. الواقع ان الامير عبد الاله بن علي كان مرشحا للقيام بدور الوصاية او ما يشبهها منذ فترة اذ لم تكن سياسة المغفور له الملك غازي الاول الوطنية والقومية المرفوضة للانجليز لتؤمن وضعا يرضون عنه والعالم على ابواب الحرب العالمية الثانية، كذلك لم تكن سياسة الملك غازي الاول تروق لمعظم الساسة العراقيين التقليديين ، وخاصة الذين حرصوا على الاحتفاظ بصداقة بريطانيا، لقد عكست مواقف الملك غازي الاول من الاثوريين ومن انقلاب بكر صدقي وتبنيه لحركة الفتوة واحتضانه للضباط الشباب الوطنيين المعارضين للوجود البريطاني في العراق، ومطالبته باسترجاع الكويت ثم ظهور ملامح توجهه لدول المحور عكست مواقف غير مقبولة من جانب السلطات الانجليزية في العراق، فمنذ حزيران ١٩٣٦، اخذ المسؤولون الانجليز في وزارة الخارجية البريطانية يتداولون في مسألة ازاحة الملك غازي عن العرش واختيار بديل عنه، بعد ان وجدوا ان مرشحهم لرئاسة الديوان الملكي (رستم حيدر) لم يستطع كبح جماح الملك غازي، ولترشيح البديل المناسب وجدوا ان العراقيين لايقبلون بغير احد افراد الاسرة الهاشمية على اساس انه ليس في العراق اسر متميزة الى درجة يمكن ان تظهر منها اسرة مالكة تستقطب رضا الجميع، جرى استعراض اسماء اعضاء الاسرة الهاشمية البارزين في حينها، فوجدوا ان للملك فيصل بن الحسين ثلاثة اخوة: الملك علي (ملك الحجاز السابق) وعبد الله امير شرق الاردن والامير زيد اخوة من ابيه وقد توفي الملك علي وترك ولدا اسمه عبد الاله، وعبد الاله شاب طموح ويستجيب بسلاسة لحقيقة تابعية ادارته لرغبات الانجليز، ولكنه ذو استعدادات ضعيفة وحين جرى النقاش حول الامير عبد الله وجدوه غير مناسب للعراق بسبب مركزه في الاردن، ورأوا انه مع كونه ذا شخصية محترمة الا انه من الصعوبة ان يقبل كحاكم للعراق من الوجهة السياسية. وان اختياره كملك للعراق سيكون اختيارا غير مناسب، وكان من رأيهم ان للامير عبد الله ولدين اكبرهما (طلال) الذي يظهر بانه غير مناسب بسبب تبذيره، اما الاصغر (نايف) الذي هو ضابط شرطة في امارة شرق الاردن فمع كونه افضل من الاول الا انه لايزال صغيرا (٢١) عاما ولم يظهر منه ما يشير الى انه مواصل لتحمل تلك المسؤولية، اما بخصوص الامير (زيد) فقد كانت ذريعة رفضهم له تركز في انه ذو طبيعة وذهنية مختلفة عن الاخرين فهو ذكي وعمره (٤٠) عاما والدته تركية، وهو في مظهر تركي اكثر منه عربي، واي شخص قابله كون فكرة جيدة عن شخصيته، لقد ساهم في الثورة العربية خلال الحرب الاولى وقد وصف بانه الوحيد من بين اعضاء الاسرة الهاشمية الذي حصل على ثناء الضباط الانجليز الذين كانوا مع القوات العربية انذاك، ولكنه ذو ميول تركية، وقد تربى في تركيا، وله املاك هناك فهو دائما موضع شك من قبل الدوائر العراقية، وهكذا نجد ان مفاتحة نوري السعيد لرئيس الوزراء (ياسين الهاشمي) في ١٥ حزيران ١٩٣٦ في مسالة ازاحة الملك غازي عن العرش كان لابد ان يكون لها علاقة بما كان يدور في وزارة الخارجية البريطانية اذا علمنا ان نوري السعيد كان قد عاد من لندن الى بغداد في ١٣ حزيران ١٩٣٦ ولكن الذي يلاحظ ان اخبار تلك المداولات لم تكن قد وصلت بعد الى السفير البريطاني في بغداد (ارشيالد كلادك كير) حين سأله (ياسين الهاشمي) عما اذا كانت بريطانيا وراء فكرة (نوري السعيد) القائلة بازاحة الملك غازي، ففي ١٧ حزيران ١٩٣٦ استفسر (كير) من حكومته حول ما اذا كان في النية التفكير بازاحة الملك غازي، واخبر بواسطة وزارة الخارجية بان هناك اقتراحا تقدم به (sir.R. Vansittart) حول التفكير ببديل للملك غازي، وكان (كير) الذي حضر الى لندن في منتصف تموز ١٩٣٦ قد دعى في مناقشات اختيار بديل للملك غازي الاول. ان عبد الاله له مؤهلات جيدة، وانه مرغوب من جانب عدد كبير من السياسيين العراقيين البارزين لانه جدي ونشيط بطبعة، ولم يظهر عليه ما يسيء الى شخصيته ولكن وزارة الخارجية البريطانية وجدت ان (كير) لم يكن قد التقى بالامير (زيد) حتى يستطيع ان يصل الى مفاضلة دقيقة بينه وبين عبد الاله، وتوصلوا من خلال النقاش الى ان افضل المرشحين هما الامير عبد الاله والامير زيد، وكان من رأي (كير) ان لو ترك الاختيار للطبقة الحاكمة في العراق، فانها سوف تختار عبد الاله على اعتبار ان للامير زيد مؤهلات عالية، ولذلك فان من الطبيعي ان لايميل له السياسيون العراقيون لان تجربته وارادته القوتين ستمكنانه من السيطرة عليهم، بينما لايستطيع شاب غير مجرب مثل عبد الاله ان يفعل ذلك. فكر الانجليز ايضا بظهور وصاية على ان الملك غازي الرضيع(فيصل) ولكن وجدوا ان تلك الوصاية ستكون طويلة الاجل، وان من الصعوبة ان تمر اللعبة بسهولة، واذا كان ممكنا فانها ستكون تجربة خطرة للغاية، على اية حال لقد استقر رأي المسؤولين الانجليز على ان ايا من الاسماء المرشحة لم يكن له من من المؤهلات لتفادي ظهور المشاكل اذا اريد استبداله بالملك، كما استقر رأيهم على ان تنحية الملك غازي ستواجه وضعا دستوريا صعبا لانه لايوجد في الدستور العراقي ما يبرر ازاحته في حين اذا استمر الملك غازي في الحكم فانه سيظل ضعيفا بحيث ان اي خلاف بينه وبين شعبه في المستقبل سيؤدي الى ازاحته عن العرش بسهولة، ورأوا ان وجود الطفل الرضيع فيصل على اية حال سيكون مهما فيما اذا تعقدت بصورة واضحة مسالة استبدال الملك غازي باحد المرشحين الذين ذكروهم. وقبيل انقلاب بكر صدقي في ٢٩/١٠/١٩٣٦ كانت اخر ملاحظاتهم عن وضع الملك غازي ان اجراءات (ياسين الهاشمي) ربما ستساعد على تغيير نزعة الملك غازي، اما اذا تاكد لهم عدم نجاح ذلك فان عبد الاله سيكون البديل له، ولقد ساعد على بلورة الراي الاخير الدكتور (ستدرسن) طبيب الملك الخاص في لندن في اوائل تشرين الاول ١٩٣٦ والذي اطرى كثيرا على شخصية عبد الاله عند مناقشته لاوضاع البلاط الملكي في العراق مع المسؤولين في وزارة الخارجية البريطانية. ابعد انقلاب (بكر صدقي) العناصر السياسية التي كان بامكان الانجليز ان يعتمدوها في تغيير الملك غازي واظهر للانجليز عدم امكانية تمرير خطتهم تجاه الملك غازي بسبب العلاقات الايجابية بين الاخير ورجال الانقلاب العسكريين فراوا ان عليهم ان ينتظروا وانتهت فترة الانتظار عندما سارت الاحداث الى اغتيال (بكر صدقي) في ١١ اب ١٩٣٧ والف (جميل المدفعي) وزارته الرابعة التي اخذ الملك غازي خلال فترتها يعبر صراحة عن مشاعره الوطنية والقومية بواسطة اذاعته الخاصة في قصر الزهور، فازدادت شعبيته بين الناس وتعلقهم به الى الحد الذي وجد فيه الانجليز انه ليس من السهولة التفكير في ايجاد بديل له، وقد اكد السفير البريطاني في بغداد (موريس بترسون) في كتاب بعثة الى وزارة الخارجية البريطانية في ٢٨ حزيران ١٩٣٨ بانه لايستطيع ان يتبع اجراءات ضد الملك غازي لان النتيجة ستكون تغيير الوزارة العراقية خلال اسابيع قليلة وعودة الاوضاع السابقة داخل القصر وزيادة عداء الملك غازي للانجليز، بظهور اكبر خصوم الملك غازي (نوري السعيد) على راس الوزارة في ٢٥ كانون الاول ١٩٣٨ عادت فكرة ابعاد الملك غازي من جديد اذ كان في جعبة نوري السعيد مشروع التخلص من الملك غازي، فقد اراد نوري السعيد من الانجليز ان يوافقوه على تشجيع الملك على القيام بسفرة الى اوربا يتم خلالها خلعه عن العرش وتولية الامير (زيد) او الامير عبد الاله مكانه، ولكن المسؤولين الانجليز لم يوافقوه على ذلك، فقد كان السفير البريطاني (ببترسون) يؤيد نوري السعيد في التخلص من العناصر الملتفة حول البلاط الملكي ويخالفه في مسالة ازاحة الملك غازي عن العرش، وهذا ما عبر عنه السفير المذكور بكتاب الى حكومته في ٣١ كانون الاول ١٩٣٨ جاء فيه: انا اشعر بانه ينبغي ان لانعيق نوري السعيد في مسالة تصفية العناصر الملتفة حول الملك غازي بواسطة الامير زيد او اي شخص اخر يختاره نوري السعيد ولكن النقطة التي يجب ان نستخدم الفرامل عندها هي ازاحة الملك غازي، انا لن استعيض عنه بعبد الاله او بزيد، ان ازاحة الملك غازي عن العرش ربما تؤدي الى انشقاق خطر في البلاد، لا بسبب شعبية الملك غازي فحسب وانما لانه سيظهر اعداء كثيرون بنوري السعيد وستغدو ازاحة الملك غازي نقطة لاستقطابهم جميعا، هنا يتوضح ان الاستشاريين الانجليز لم يكونوا في حقيقة امرهم الا مبعوثين سياسيين ان لم نقل جواسيس بما فيهم الاطباء مثل الدكتور (سندرس) طبيب الملك الخاص وعميد كلية الطب . ايدت وزارة الخارجية البريطانية اراء (بيترسون) وبينت له في رسالة في ١١ كانون الثاني ١٩٣٩ بان عليه (ان يصب الماء البارد على فكرة ازاحة الملك غازي كلما ظهرت امامه. دلت الاحداث على ان نوري السعيد كان يضمر العداء الشديد لجميع خصومه السياسيين بل لقد ظهرت سياسة تصفية الحساب مع الخصوم كابرز المظاهر المميزة لوزارة نوري السعيد الثالثة ، لقد احال اثر تشكيلة الوزارة كثيراً من العناصر التي لم يكن يرغب فيها الى التقاعد وفي ٦ اذار ١٩٣٩ ادعى بوجود مؤامرة تستهدف اغتياله والملك غازي وعددا من الشخصيات وامر بالقبض على خصومه السياسيين الذين اتهمهم بتدبير المؤامرة المزعومة . وكلهم كانوا من انصار (بكر صدقي) وقد استعان نوري السعيد على امره بالامير عبد الاله حيث صيره المخير الوحيد في كشف المؤامرة على اساس ان المتامرين كانوا قد اتصلوا به وجعلوه احد محاور مؤامراتهم . فقد زعم عبد الاله امام المجلس العرفي العسكري الذي شكل لمحاسبة المتهمين بان خطة المؤامرة كانت تهدف الى اقامة حفلة كبيرة في دار عبد الاله حيث يدعى اليها اكثر من (٣٥٠) من الشخصيات المدنية والعسكرية المعروفة بضمنهم الملك غازي ونوري السعيد وطه الهاشمي وتتم هناك عملية الاغتيال لتنتهي بعد ذلك بتنصيب عبد الاله على العرش بدلا من ابن عمه الملك غازي . جاء الامير عبد الاله بصحبة والده الملك علي بن الحسين الى بغداد في عام ١٩٢٦ تحت وطأة الظروف التي املتها الحرب بين الاسرتين السعودية والهاشمية . وكان عمره انذاك ثلاثة عشرة سنة . ارسل الى انجلترة للدراسة في عام ١٩٣٢ الا انه لم يستطع البقاء طويلا هناك لشعوره بصعوبة الدراسة بل هناك من يعزو ذلك الى بلادته وانهماكه بملذاته ومغامراته فعاد الى العراق وظل يعيش كاحد افراد الاسرة المالكة فكانت خزينة الملك الخاصة تدفع له مخصصات شهرية على ذلك الاساس بالاضافة الى المساعدات التي يحصل عليها بواسطة شقيقته الملكة عالية . ولما اشتهر عنه من كياسة وحسن مجاملة في راي البعض فيما يرى اخرون انها المحاولات التي بذلتها الملكة عالية . قرر رئيس الوزراء (ياسين الهاشمي) تعيينه ملحقا في وزارة الخارجية عام ١٩٣٦ بعد ان عز عليه وجوده بلا عمل وانشغاله بركوب الخيل والرياضة بل انه كان احد المغامرين في العاب سباق الخيل التي كان يقوم على رعايتها ودعمها . وقد وفر وجود نوري السعيد في مصر بعد انقلاب (بكر صدقي) فرصة لتعرفه على الامير عبد الاله الذي كان قد ذهب هو الاخر هناك لمواصلة الدراسة في كلية (فيكتوريا) ويذكر ان عبد الاله كان ايضا من الحاقدين على عهد انقلاب بكر صدقي بعد ان ضغط عليه بكر صدقي في مسألة رغبته بالزواج من احدى شقيقاته على اثر هجر (لبكر) زوجته النمساوية فاخذ عبد الاله يشكو الى نوري السعيد من تلك المعاملة . وقد ادرك نوري السعيد من خلال اجتماعاته ببعد الاله ما يجول في ذهن هذا الفتى من طموح بعيد وما يتاجج في اعماقه من غيرة دفينة من ابن عمه الملك غازي بسبب ما يتمتع به الاخير من عرش يوفر له مظاهر الملك والنفوذ . وما حرم هو من فرص تولي العرش في الحجاز بسبب ظروف اجبار والده الملك علي على التنازل عن عرشه جعلته يعيش عالة على ابن عمه . فاستطاع نوري السعيد بما عرف عنه من حنكة سياسية ان يحرك طموحه باتجاه الحصول على مركز مهم في العراق . يبدو انه كان لمعرفة نوري السعيد بالمداولات التي جرت في وزارة الخارجية البريطانية قبل انقلاب بكر صدقي والتي تم خلالها مناقشة موضوع الامير عبد الاله كاحد المرشحين لعرش العراق دورها في تركيز اهتمام نوري السعيد ببعد الاله فيذكر (خيري امين العمري) الذي كشف مؤخراً من عن بعض الرسائل المتبادلة بين نوري السعيد عندما كان مبعداً في القاهرة و(معزز برنو)زوجة الدكتور (حسن روضة) في بيروت شيئا عن اهتمام نوري السعيد المتزايد ببعد الاله . وقد عثرت وزارة جميل المدفعي الرابعة على رسائل سرية في حزيران ١٩٣٨ تبين ان نوري السعيد اخذ يسعى من بيروت وبواسطة (ناصر الكيلاني) الذي اخذ يتردد بين بغداد وبيروت لترويج المطالبة بترشيح الامير عبد الاله لرئاسة الوزارة على اساس ان سيتمكن من تسوية المشاكل التي سببتها سياسة (اسدال الستار) وقد وجد مع تلك الرسائل بطاقات. كاريكايتيرية نورية ضد وزارة المدفعي . وقصاصات من جريدة (الحديث) البيروتية . تتضمن مقالا تحت عنوان (هل يؤلف نجل الملك علي وزارة وطنية كبرى في العراق) وهكذا فقد كانت هناك جذور للتفاهم بين نوري السعيد وعبد الاله لم تتجل في حبك المؤامرة المزعومة تجاه اعوان (بكر صدقي) في اذار ١٩٣٩ وانما تعدتها الى تقرير ان يكون الامير عبد الاله وصيا على الملك فيصل الثاني. في اذار ١٩٣٩ تغيرت سياسة االانجليز تجاه العرش العراقي فقد وجدوا ان نقمة الراي العام التي كانوا يخشونها في حالة ازاحة الملك غازي اخذت تتضاءف بسبب وجوده على العرش حيث استمر في اثارة الروح الوطنية والقومية وانتقاد سياستهم في فلسطين وتهديد مصالحهم في الكويت وفشلت جميع جهودهم لحمله على التخلي عن نشاطه القومي . واخذوا يخشون انحيازه الى جانب الالمان خلال الحرب ففي ٢٠ اذار ١٩٣٩ ترك السفير البريطاني (بيترسون) العراق الى منصبه الجديد كسفير في اسبانيا وعند مغادرته بغداد اسر للامير عبد الاله عند توديعه له : (انه اصبح من الواضح ان الملك غازي يجب ان يسيطر عليه او يخلع) وقد التقى (بيترسون) بعد مغادرته العراق بالمستر (بتلر) وكيل وزارة الخارجية البريطانية وتناقش معه في مختلف مؤهلات اعضاء الاسرة المالكة توقعا

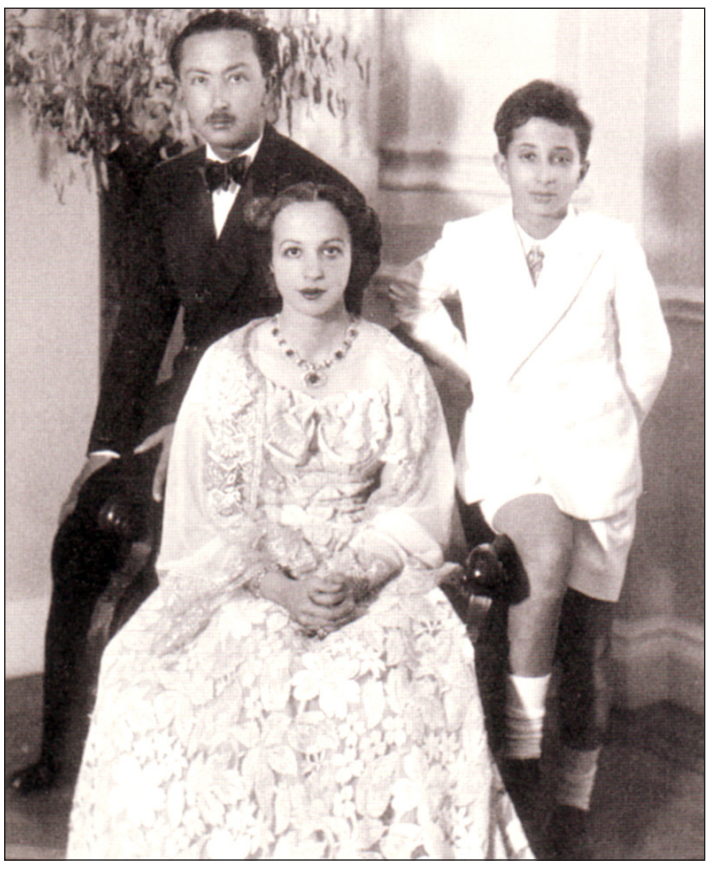

د. حسين الهنداوي

الحاج زاير وتأسيس فن

"مو حزنْ
لاچن حَزين
مثل ما تنْكطع جوّه المطر شَدّة ياسمين
لك مو حَزن، لاچن حزين
مثل صندوك العرس
ينباع خردة عشك من تمضي السنين
انَه كتلك مو حزن
لاچن حزين
مثل بلبل كعَد متْأخّر
لكّه البستان كلهه إبْلَيّه تين
مو حزن، لا مو حزن
لاچن احبك من چنت يَسْمر جنين"

(مظفر النواب)

نقلة نوعية مثيرة تلك التي حققها الشعر الشعبي العراقي خلال النصف الثاني من القرن العشرين؛ نقلة قفزت به الى مصاف فن خاص متكامل بذاته وعلى درجة رفيعة من النضج والتسامي على صعيدي الشكل والمضمون. ويقيناً فان مظفر النواب هو الاسم الاكبر الذي يرتبط به هذا الانجاز الكبير.

ان اهمية مظفر النواب في الواقع أكثر من استثنائية في هذا الشأن. فهي لا تقتصر على تحقيق هذه النقلة وحسب، انما ايضاً، وبجهد ذاتي وواع دائماً، في إنضاجها وتكريسها مأخوذاً في آن واحد بهم المفاعلة غير المبتسرة ما بين الحداثة والاصالة من جهة والعالمية والعراقية من جهة أخرى. ومعه سيجد الشعر الشعبي العراقي نفسه ولأول مرة في العصر الحديث محط اهتمام خارج العراق. فقد نجح هذا الشاعر في احداث قطيعة جمالية حاسمة مع الحالة الماضية. وبغياب دراسة شاملة رصينة ونقدية حول العبقرية النوابية في الشعر الشعبي، فان تأمل بعض قصائده كـ"شكد نده نكط" أو "حسن الشموس" أو "إبن ديرتنه حمد" أو "حجام البريس" يكفي لوحده في الكشف عن الجوانب الخاصة بهذه العبقرية لا سيما لجهة ثراءاتها المتعددة واعماقها الانسانية والجمالية. وربما يمكن القول - امام الصرح الذي ارساه هذا الشاعر - ان القصيدة الشعبية النوابية من العسير تجاوزها فنيا لفترة مهمة قادمة كما يبدو، لأسباب موضوعية كثيرة ابرزها غيابان: الاول هو غياب عبقرية شعرية جديدة تتجاوز فعلاً، أو في الأقل توازي، تلك التي إقترنت، بإعتراف واسع، بإسم الشاعر مظفر النواب، فيما يتمثل الثاني باستمرار غياب فسحة التنفيس- التفاعل الضرورية لتجاوز كهذا نظراً للنزعة العدائية التي ثابر النظام البعثي في العراق، على التلويح بها ضد هذا الضرب من الفن وهي نزعة مستمرة بعد انهيار النظام البعثي ولحد الآن وتبدو انها ورثت منه اسوة ايضا بصنوها الذي شجعه النظام السابق ايضا والمتمثل بتشجيع الركيك والرطن من الشعر الشعبي المداح او البكاء والعديم المضامين الابداعية باي قدر كان.

بيد ان التجربة النوابية ذاتها ما كان لها ان تحقق كل ذلك التألق لولا تأسسها على حصيلة فنية مثيرة هي ايضاً في هذا الميدان، سبقتها ومهدت لها. فشعر النواب وبالقدر الذي يعكس موهبة غاية في الخصب، ليس الا مجرد لحظة عليا، سامية ووفية، في سيرورة غاية في الاصالة الجمالية هي الاخرى، تمد جذورها بعيداً قبله. وبغض النظر عن ماهية الضرورات الموضوعية الأولى التي اوجدت الشعر الشعبي العراقي وأسست له، فان من المؤكد ان الهم الجمالي لم يفارق الشاعر الشعبي العراقي قط. فهذا الهم نجده جلياً وواعياً لدى معظم الذين سبقوا النواب في هذا الضرب من الابداع كمشيمش الاسدي وفدعه الخزرجي وعبد الامير طويرجاوي وابراهيم الشيخ حسون الهنداوي وصادق الفحام وعبد الحسين محي الدين ومحمد نصار وصاحب عبيد الحلي وعبد الامير الفتلاوي وحسين قسام وخصوصاً وقبلهم جميعا... ابي عسكور الحاج زاير بن علي بن جبر الدويجي، المشهور بـ "حجّي زاير".

لا نعرف الكثير عن حياة حجي زاير. نعرف فقط انه ولد في بلدة برس، الحاضرة البابلية العريقة، والناحية التابعة لمحافظة النجف حاليا، التي عاش فيها معظم الوقت متنقلاً بين حين وآخر في زيارات قصيرة الى بعض مدن الفرات الاوسط لا سيما طويريج او الهندية والنجف والكفل في السنوات الاخيرة من حياته. ويذكر السيد جواد شبر عنه انه لم يكن يعرف القراءة والكتابة. وتشير مصادر اخرى انه ولد في عام ١٢٧٧ هجرية وتوفي في ١٣٢٩ (١٩٠٩ ميلادية)، اي انه لم يعش سوى اكثر من خمسين عاماً بقليل تنتهي في اواخر العقد الاول من القرن العشرين. الا ان هذه التواريخ تتضارب مع معطيات اخرى تؤكد بانه عاش حتى اواسط العقد الثاني منه او بين ١٨٦٠ و١٩١٩. حيث يذكر الخطيب الشيخ محمد الكاشي النجفي ان حجّي زاير حمل السلاح في معركة الشعيبة الى جانب الزعيم الاسلامي السيد محمد سعيد الحبوبي الذي قاد المجاهدين ضد القوات الانجليزية عندما حاصرت البصرة تمهيداً لاقتحامها في مطلع الحرب العالمية الاولى، وانه فرّ هارباً اثر انكسار المقاومة، فدخل الكوفة ليعيش فيها متخفياً فترة من الزمن. ويؤكد هذا المصدر ان بعض اشعار حجي زاير الوطنية التي تحث على مقاومة الاحتلال البريطاني للعراق كانت تردد في المجالس وعلى ألسنة المقاومين العراقيين ومن بينها قصيدة مطلعها:

من جسر والدين يرهب سوره
وبالمكنزي احدود إله منطوره

وعلى أية حال، ان المرجح لدينا هو ان حياة حجي زاير تزامنت مع العقود الستة الاخيرة من عمر الدولة العثمانية وهيمنتها الثقيلة على العراق. وبالتالي يكون انطفاؤه متقارباً مع اللحظة ذاتها التي شهدت سقوطها. في تلك الفترة كانت النجف مركزاً ثقافياً مهماً بل ربما الاهم في البلاد. اما على الصعيد الاجتماعي فيبدو -كما تشير معظم المصادر التي أرّخت لهذه الفترة- ان الحياة التقليدية المحافظة والرتيبة هي التي كانت سائدة بعد، وهي التي طبعت الملامح الاساسية للمرحلة في شتى المجالات. وبداهة كان لابد ان ينعكس ذلك في الشعر الشعبي بشكل جلي حيث نجده مقتصراً آنذاك والى حد كبير على القصائد ذات الطابع الديني على الاخص والتربوي والاخوانيات بشكل اقل. فنظم الشعر المكرس لمديح آل بيت النبي والاشادة بمناقبهم وسرد بسالتهم ومحنتهم واستشهادهم اثناء واقعة كربلاء، والمخصص عادة للألقاء في المجالس الحسينية والمواكب العاشورائية، كان الهم الاساسي للشاعر الشعبي في المدن الفراتية. عبر هذه القناة الطبيعية مرت التجربة الشعرية لحجي زاير كما تشهد على ذلك الكثير من قصائده. وفي اطارها، في الارجح، بدأت محاولاته النظمية الاولى ومنها ذاعت شهرته في شتى الاوساط الاجتماعية وراحت قصائده تنتقل حتى خارج النجف عن طريق المقرئين والردّادين. ويذكر الخطيب جواد شبّر، ان الجمهور صار ينشرح صدراً حين يذكر اسم حجي زاير بفضل رقة شعره ومعانيه الجذابة المبتكرة ومفرداته واوزانه العذبة. ويضيف "وانا شخصياً طالما تحاشيت ان استشهد ببيت عامي في خطاباتي المنبرية

ان حياة حجي زاير تزامنت مع العقود الستة الاخيرة من عمر الدولة العثمانية وهيمنتها الثقيلة على العراق.
وبالتالي يكون انطفاؤه متقارباً مع اللحظة ذاتها التي شهدت سقوطها.
في تلك الفترة كانت النجف مركزاً ثقافياً مهماً بل ربما الاهم في البلاد.

عدا شعر الحاج زاير". ويشهد آخرون على شاعرية استثنائية التدفق لديه. اذ يقول عبد الرزاق الحسني مؤلف "تاريخ الوزارات العراقية"، "ان الحاج زاير اشتهر عنه انه كان اسرع شعراء عصره بديهة. فقد كان ينشيء القصيدة التي تبلغ المائة بين وينشدها ارتجالاً في آن واحد فيخال للسامع انه كان يحفظها منذ مدة". واشتهر الحاج زاير ايضاً برخامة وحميمية الصوت اثناء إلقاء القصائد. اذ كان، في مجالس الأنس الخاصة، سيد طرب من الطراز الاول. ويذكر لنا ثامر العامري، في كتابه "الغناء العراقي"، انه كان من بين المع من غنّى الابوذية العراقية في عصره، بل هو مبتكر لطور خاص فيها يطلق عليه الاختصاصيين في غناء المقام اسم "طور الزايري" نسبة اليه ويعتقد العامري ان حجي زاير هو احسن من غنّاه لحد الآن.

اذا انتقلنا الآن الى البعد الفني المحض في شعر حجي زاير فينبغي بدءاً الاقتصار على شعره الوجداني فقط. فالشعر الديني، كأي شعر وظيفي، يضحي بالحرية الذاتية الى اكبر حد. بينما، بدون الحضور الطاغي لهذه الحرية، لا وجود للفن والمغامرة الجمالية. لانها، كما يبدو لنا، هي وحدها مصدر كل عناصر العمل الفني الاساسية. بلاشك ان الشعر الديني الذي تركه هذا الشاعر يكشف، هو ايضاً، تحرقاً للتمرد على السائد او الموروث من الاساليب. الا انه يتوقف في حدود هذا التحرق ولا يتجاوزه بعيداً الا نادراً ومن بين ذلك مثلاً ادخال توظيف الموال بشكل ملموس في القصيدة الحسينية، كقوله في مديح الامام علي:

يا مُردي شيبه ووليد بسيفك وعَتبه
لوله عتبتك الكعبة ما لها عتبه
برضاك يا بو الحسن شيبي الدهر عت بَه
وسيوف الايام بكصه ظامري لاچن
ورماح من المرض بمفاصلي لاچن
من تعتذرني قبلتُ المعذرة لاچن
حبك إلبحشاي شلّك عذر من عتبه

أما في شعره الوجداني فان نفحة اخرى تماماً هي التي تتفجر كما لو اننا امام شاعر آخر قطعاً، شاعر متمرد الى حد التسامي على كل شيء لا سيما على البهائم الآدميين، اذا جاز الزعم، حين يقول:

يا حيف نكضي العمر
ما بين وادِ طَرِش

"وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق محتقر في همتي كشعرة في مفرقي" قال قبله المتنبي الخالد في لحظة تفجر مماثلة. لكن حجي زاير ليس المتنبي كما ان النجف في ظل العتمة العثمانية ليست حلب في ظل البهجة الحمدانية. فالمفرات مسدودة امامه والتفكير سدى وكلاهما لا يورث الا السهر العقيم كما يخبرنا الحاج زاير نفسه:

من كُثر ما بالي إبْسَهر
شحمَة عيوني مايْعه

وذابلا وبلا غيمة تبلل ظمأ الروح، لم يكن امام الشاعر سوى التشبث بواقعية ما بعدها واقعية، واقعية تكاد ترادف الاستغاثة او بالاحرى الاستسلام القدري:

يا صاح عودي ذبل وبكل دوه ما يصحّ
والدمع سل او جره من ناظري ما يصح
والنيب مثلي بحنينه لو صحت ما يصح
من حيث مضروب مابين الجوانب تَبن
بمعالج الروح سرّي لم اموتن تَبن
لا تنهظم عالسبع لو چان علفه تبن
واليوم حتى التبن علف السبع ما يصح

الا ان الجمالية تسمو الى ذروتها في مقاطع كثيرة كقوله في هذا الزهيري:

ياكعبة النور ياعون الذي حاج بك
ويطوف بَأرْكان خدّك والبدر حاجبك
جامع الأوصاف من باسل ظُفُر حاجبك
چتّان للناس لحظك بالأصل بابُلي
والودّك اليوم □دّرته . . وصفه بابلي
من بَوب الأوصال ظنّيتك تفك باب الَي
مدريت بالباب عنّي حاجِبك حاجِبك

او هذا الزهيري:

تّميت أحومي اعله شوفك بس أروحن ورد
أبغي وصالك وروم من المراشف ورد
مفروض نڤرك علينه بالفرايض ورد
من حيث بسمك تتمّ افروضنه والدعه
«رضوان» حسن الحواري بوجنتك ودّعه
والورد جدّم لوايح واشتچه وإدّعه
ويكول انته الورد چاليش تشْتَم ورد

او في هذه الابوذية الخلابة:

بيش استر يماي العين هدماك اوناري
اسرجت يا مدلول هدماك جان انته بدمع
بللت
اخبرك
وجّن هدومي عليّه

واذا كان ادخال الموال في الشعر الديني هو اللحظة الاولى في التعبير عن "غربة" حجّي زاير، فان اللحظة هذه سرعان ما كشفت عن محدوديتها وعقمها. وكان لابد له من البحث عن منافذ اخرى لروحه الخائفة القلقة التي اخذت تأنف اكثر فاكثر من استقبال رتابة وافتعالية الشعر الديني بعد ان اكتشفت بان هذا لا يزيدها الا غربة وتمزقاً، و"يا صاح جرح الكلب مايوسٍ من طيبة" سيقول حجي زاير متلوياً من الالم. الصبر هو الملاذ المتبقي للوهلة الاولى. وعنما نضب صبره صار يستجديه من الاخرين "ما زال صبري خلص وعله الصبر كديت.." لكن بلا جدوى. ولابد اذن من البحث عن "حمى" تلجأ له هذه الروح وتستريح اليه؛ وهذا الملاذ سيجده الحاج زاير في الحياة ذاتها، في الجمال الحسّي الاسمى، في المرأة، وسيتوجه لها دون تردد لاهثا بالرجاء:

ازلوفك حمه وروحي اتخاف خليني
ألوذ بسدّها

ها نحن دفعة واحدة في عالم شعري زايري زاخر الشفافية والثراء، عالم تتعرّى فيه حتى اللغة الى اقصى ما تستطيع لكن دون الوقوع في المجانية، ويتجرد معها حجي زاير من كل قيود الشعر الديني، عارضاً كل قلبه بيد وكل حريته باليد الاخرى:

نيشان إلك هالشامه
او ربّ الخلكها علامه
كلمن وكف جدامه
ينحتف ومثل العبد
يلشامة البلخدين
سيد صحيح الجدين
روحي امن أشمّنهن ترد

هذه المقاطع وغيرها التي جعلها المطرب الكبير الراحل يوسف عمر اشبه بالخالدة في الوجدان الشعبي العراقي، ليست الا جزءاً يسيراً من السفر البديع الذي تركه لنا هذا الشاعر الشعبي العراقي والمجموع بعضه في ديوان طبع مراراً. وكثير من العراقيين اليوم يترنم في لحظات شجنه الحقيقية بكلمات حجي زاير وان كان اغلبهم لا يعرف ذلك. فمن بين المقاطع الذائعة مثلاً ابوذية:

أريد اكعد عله دربه وتاني
الواشي امن إنهجم بيته وتاني
إشرَدت عنّه يخلك الله وتاني
لكيته ابحضرموت ايخم عليّه

لكن يبقى القسم الاعظم من شعر حجي زاير حبيس دائرة ضيقة من المهتمين تتقلص اكثر فاكثر اليوم. كما تفتقر المكتبة لحد الآن الى دراسة وافية عن هذا الشاعر اللامع رغم مرور زمن طويل على وفاته. ونحن في هذه الصفحات السريعة لا نطمح اكثر من تقديم بعض الاستنتاجات العامة حول شعره الوجداني عبر قراءة اولى لما وصلنا منه.

الاستنتاج الاول الذي نسجله هو ان حجي زاير ينقل الشعر الشعبي العراقي، على صعيد الاسلوب، من مرحلة العفوية، بمعنىً ما، الى مرحلة الفن. وهذا التطور يتحقق جلياً في ثلاث جوانب أساسية: فمن جهة هناك التقنية العالمية في البناء، حيث يتضاءل الحشو والتزويق الى أقصى ما يمكن لتأخذ كل مفردة مكانها المطلوب ووظيفتها المحددة دون أي تطفل او مجانية، الأمر الذي يفجر ويثري الطاقات الكبيرة التي تتضمنها اللغة الشعبية العراقية. ومن الحري ان نذكر هنا ان اسلوبي الابوذية والموال الذين يبدع فيهما حجي زاير اكثر من غيرهما من اساليب الشعر الشعبي الاخرى (كالميمر والنايل والمربع) يتطلبان احاطة قوية بتلك الطاقات. نظراً لأن الشاعر يلزم نفسه فيهما بقافية ثلاثية (في الابوذية) او رباعية (في الموال) تتكرر كلفظة صوتية لكنها تختلف كمعنى. مما يلقي على الشاعر مهمة البحث والاشتقاق والتركيب لتلبية هذه الضرورة بأيسر وأدق ما يمكن دون التضحية بالبعد الجمالي كما في قوله:

يلايم كف ملامك وإنتصاحي
چذب من شاف خدك وانتصاحي
وحك سَكّرة عيونك وانته صاحي
رضابك سلسبيل وعذب ميّه

الجانب الثاني الذي يميز الاسلوب الشعري الزايري هو الاعتناء الواعي بالصورة الشعرية حيث تتلاحق اللقطات واللوحات، ونكاد نقول التشكيلية، في حركة جمالية «معاصرة» بمعنًى ما؛ وهي حالة لا نعتقد ان الشعر الشعبي العراقي عرفها لدى من سبق هذا الشاعر ممن وصلتنا بعض نتاجاتهم، كما في قوله:

فتلنه حبل وصلك وانته فالّه
والمْتيّم برالك وانتفاله
انا الكطان يدعچ وانته فاله
تبعت اهواك وآنه الركش بيّه

وغنائية ناضجة لا تخل بالبناء الموضوعي للمقطع لكنها لا تقع في أسره في ذات الوقت. ونعتقد عموماً بان الشعر الوجداني الذي كتبه الحاج زاير هو شعر غنائي كله وبدون استثناء. وهذا ما يفسر ربما شغف الملحنين والمغنين العراقيين به.

أما الاستنتاج الثاني، ويخص المضمون، فهو ان شعر الحاج زاير يتميز بالبروز الواعي للذات الفردية للشاعر بشكل تبدو معه كما لو انها وحدها المحور الذي يدور حوله الموضوع. ولعل الشحنة الانفعالية والتوتر الداخلي المفعم بالشجن والعاطفة، اللذان يطبعان القصيدة الزائرية هما من بين التعبيرات الحميمة التي تعكس هذا التطور. كما ان الابتعاد المزدوج عن الشعر الديني نحو الوجدانية من جهة، وعن النظم الكلاسيكي الاطنابي (للقصيدة الحسينية) نحو الأبوذية والموال من جهة أخرى، هو، الى هذا الحد أو ذاك، المعطى الضروري الذي اقتضاه التطور المذكور. وهذا الجانب يمكن تلمسه في معظم شعر الحاج زاير.

اذا كان ادخال الموال في الشعر الديني هو اللحظة الاولى في التعبير عن "غربة" حجّي زاير، فان اللحظة هذه سرعان ما كشفت عن محدوديتها وعقمها. وكان لابد له من البحث عن منافذ اخرى لروحه الخائفة القلقة التي اخذت تأنف اكثر فاكثر من استقبال رتابة وافتعالية الشعر الديني بعد ان اكتشفت بان هذا لا يزيدها الا غربة وتمزقاً، و"يا صاح جرح الكلب مايوس من طيبة" سيقول حجي زاير متلوياً من الالم. الصبر هو الملاذ المتبقي للوهلة الاولى.

سلمان شكر . .

عزف منفرد على أوتار الخلود

موفق مكي

شاهد العود، اول مرة، تحمله فتاة صغيرة، اختفت الفتاة بسرعة، وبقى العود في مخيلته، يذكره بحبه الاول. انجذب الى فرق الاناشيد المدرسية التي اسسها الرائد حنا بطرس، عازف النحاسيات وتعلم فيها العزف على عدة آلات.

وحين اسس الشريف محيي الدين حيدر، معهد الفنون الجميلة سنة ١٩٣٦ ، بعد ان جذب اليه الكثير من اصدقائه الموسيقيين العالميين، امثال ساندو آلبو، عازف الكمان، والبروفيسور جوليان هيرتز، معلم آلة البيانو، ومسعود جميل بك، معلم آلة الجلو، دخل سلمان شكر المعهد وهو في عمر ١٦ سنة، ودرس الموسيقى لمدة سنتين، ثم تركه لظروف خاصة به، وعاد الى مقاعد الدراسة واكمل دراسته بعد انقطاع أربع سنوات.

سنة ١٩٤٤، تخرج في المعهد، وتعين مدرساً فيه خلال السنة التالية.

سلمان شكر، مواليد ١٩٢١، من المحظوظين القلائل في الشرق، الذين اتيحت لهم فرصة نادرة ليدرسوا على يد شخصية فريدة مثل الشريف محيي الدين حيدر.

وقد اخذ عنه معرفة روح وفسلفة آلة العود، وطرق استنباط الموسيقى التراثية وعزف مقطوعاتها، باشكال مبتكرة حديثة، كان لتأثر وثقافة الشريف، بالعزف الغربي، وحبه لتكنيك العبقري الايطالي (باغانين) بالعزف على الكمان، والهنغاري الكبير فرانز لبست على البيانو، الوقع الكبير على اسلوبه الفني.

وقد درس سلمان شكر، فيما بعد، طلابه بنفس الروحية التي ورثها من استاذه الشريف.

قال سلمان شكر عن طريقة التدريس حينذاك:

(لم يكن لدينا منهاج ثابت مكتوب، كان الشريف، الذي اخذنا عنه طريقته يعطي كل تلميذ، التمرين الذي يناسب قابليته، وليس بالضرورة، يعطي نفس التمرين لتلميذ آخر، فقابلية الطالب وسرعة تطوره، هما اساس منطلق الشريف في الاستمرار مع التلميذ) كان شكر، يكتب التمارين بنفسه، ولكل طالب على حدة، ثم يعزف التمرين مرتين امام الطالب، شارحاً بعض النقاط التي يراها مهمة اثناء العزف، وعندما يثبت الطالب جدارته في فهم وعزف التمرين، ينتقل سلمان شكر معه الى تمرين آخر.

الف مقطوعات عديدة تساعد الطالب على تطوير امكانياته على ضوء ما يتعلم وقد برز من طلابه اللامعين، علي الامام ومعتز محمد صالح وحبيب العباس وحسام الجلبي.

بقي شكر يدرس في معهد الفنون مدة ٣٠ سنة، اخذ خلالها في تطوير وترسيخ ما اخذه من المعلم الكبير، وراح ينحو في تأليفاته، مناهج تجعل من العود، آلة منفردة (صولو) وليست آلة مصاحبة للمطرب، واهلها لمكانة لم تكن قد وصلت اليها من قبل قائلاً:

ان عزفي، لا يقتصر على الصيغة المحددة، اذ اني اقوم ايضا، بين الحين والاخر بعزف التقاسيم، والتقاسيم ماهي الا تآليف حرة من الايقاع، اذ انها آداب معينة) وذهب في دراسته عن اصول العزف على آلة العود، الى بحوث مشتركة بينه وبين البروفيسور البريطاني (جون هاي وود)، في جامعة انكليزية ، واستطاعوا تحقيق مدونة قديمة تعود الى العازف عبد القادر المراغي، الذي كتبها في الفترة التاريخية الواقعة بعد سقوط الدولة العباسية، وقد توصل سلمان شكر، الى عزف ما مدون في المخطوطة وكانت (بشرف ماهور كار) حسب دريد الخفاجي، ماجستير علوم موسيقية وعميد معهد الدراسات الموسيقية.

الإنجاز الأكبر

اخذ سلمان شكر يوسع من قدرة العود التعبيرية ويمنحه في مؤلفاته الاهتمام الاوسع، فقد كتب مع البروفيسور هاي وود، كونشيرتو العود مع الفرقة الاوركسترالية البريطانية وطبعت شركة دكا الشهيرة، اسطوانة بالعمل النادر، سنة ١٩٧٨.

وكان هذا اول عمل لآلة العود، يطبع على اسطوانة غربية ودخل العود بعد ذلك مجال الموسيقى العالمية، ما لفت الانظار في اوربا الى مؤلفاته وعزفه، وقد كتب المستشرق الفرنسي جان كلود شابريه فصلاً مفصلاً عن سلمان شكر في اطروحة دكتوراه عن الموسيقى الشرقية.

توقيتات

يمتاز اسلوب سلمان شكر في عزفه على العود، بالتهذيب العالي في استعماله الريشة والدقة المتناهية في مواضع الاصابع، وابتكار غير المألوف في التوقيتات، وهو يركز على تقنية الزحف اثناء الاداء، لتحميل الجملة الموسيقية قدرة تعبيرية اكبر، ويكثر، حسب دريد الخفاجي، من استعمال الزغردة، وهو الضغط على الوتر بخفة وتردد سريع، لاعطاء الجملة نكهة عاطفية، كل ذلك كان يحقق له الغنى في الاداء، والرصانة العالية في تأدية القطعة الموسيقية (لدي الحق في التفخيم والتشبيع والترقيم والزخرفة، على الا يخرج ذلك عن الاطار العام للموسيقى).

كان للموسيقي الكبير سلمان شكر، شخصية متميزة، حرص على ان تكون في الموضع والمكانة اللائقة دائماً، وهو ذو قدرة كبيرة في الهيمنة على انتباه المستمع.

أذهل الحاضرين، في آخر كونسيرت اقامه في بغداد سنة ٢٠٠١، بلباقته ورشاقة عزفه وحضوره المذهل وسيطرته على المسرح وسط صمت ولهاث الجمهور المشدود الى حركات ريشته واصابعه على البورد.

في نهاية احدى المقطوعات وقف سالم حسين وسط القاعة ونادى: (كنت فارس العود، وما زلت كذلك طوال السنين).

وطلب منه عزف مقطوعة (سماعي عشاق) تأليف الشريف محيي الدين، وسرعان ما عزف سلمان شكر المقطوعة بدقة وروعة من دون الرجوع الى النوطة، اذ انه يحفظ عن ظهر قلب كل المدونات القديمة ويعزفها وكأنه يقرأ في النوطة، وهو يجيد التحدث باللغات: الفارسية والتركية والكردية والانكليزية ويكثر من السفر من اجل نشر رسالته الفنية، ويحرص على ايصال فنه الى المسارح العالمية، ويتمتع بنسيج تشامل من العلاقات الراقية مع الموسيقيين في جميع انحاء العالم، يروي الموسيقار دريد الخفاج (ان سلمان شكر في احدى سفراته الى القاهرة، كان قد بعث اليه المطرب فريد الاطرش بسيارته الخاصة وسائقه كي يجلبه الى بيته، ولكن شكر رفض الذهاب مع السائق. وعتب على صديقه لانه لم يحضر بنفسه الى الفندق لاستقباله).

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي : يونس الخطيب